العجائبية

في رواية (السيد من حقل السبانخ)

للكاتب صبري موسى(١٩٣٢ـ٢٠١٨م)

دراسة تحليلية تأويلية

إعداد

د/ فاطمة محمد قطب محمد

مدرس الأدب والنقد

في كلية البنات الإسلامية فرع جامعة الأزهر بأسيوط

١٤٤٤ هـ- ٢٠٢٢م

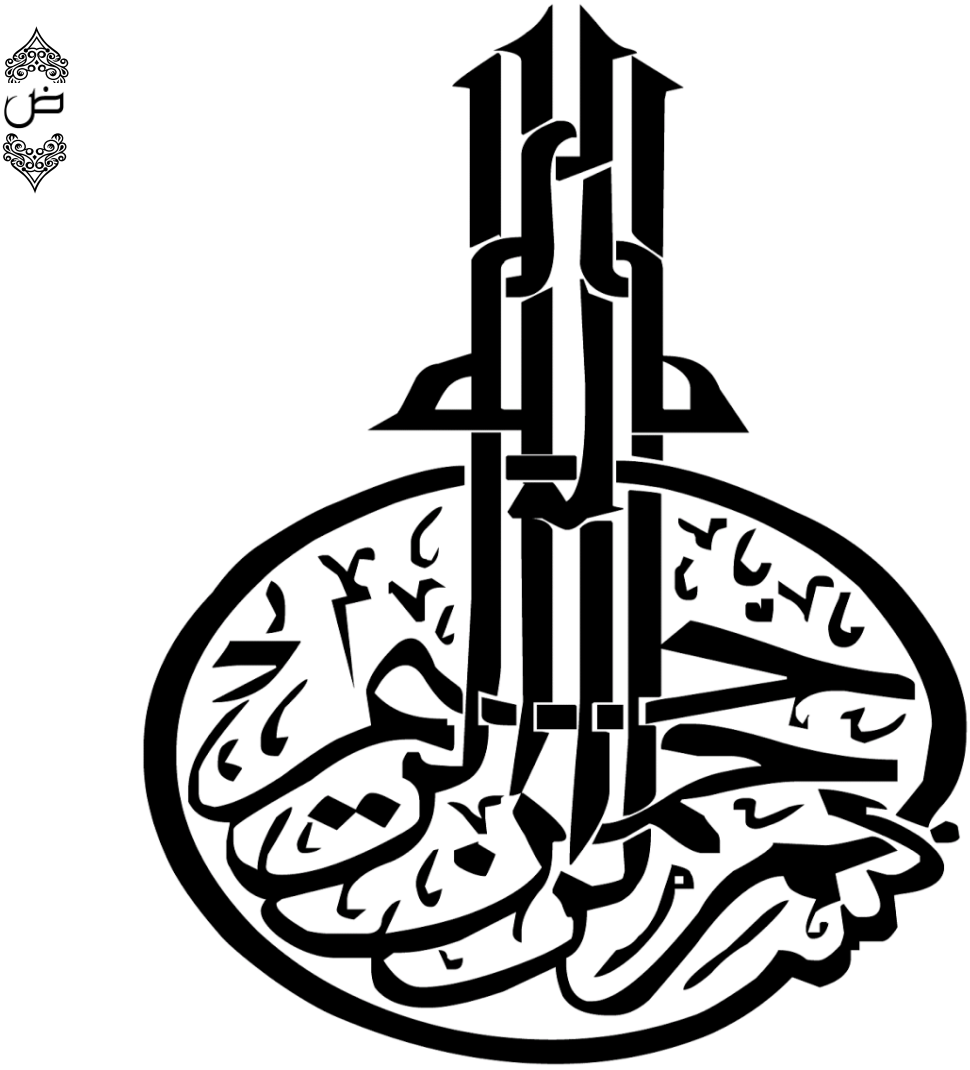

العجائبية في رواية (السيد من حقل السبانخ) للكاتب صبري موسى(١٩٣٢ـ٢٠١٨م) دراسة تحليلية تأويلية

فاطمة محمد قطب محمد

قسم الأدب والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر ، مصر.

البريد الجامعي الإلكتروني:

fatmakotb973.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

الأدب العجائبي المستشرف للمستقبل أدب مثير طريف، يجذب المتلقي ويثير انتباهه لما يتولد فيه من حيرة وقلق منبعثين من التنبؤ بما يحدث في المستقبل، وهذا التنبؤ يختلف من كاتب لآخر حسب رؤيته للواقع، والرواية أقدر الفنون للتعبير عن ذلك لمرونتها، واتخذت رواية "السيد من حقل السبانخ" لصبري موسىٰ نمطا من التوقع لما يحدث في المستقبل، واستطاع مبدعها أن يبث مخاوفه من ظواهر ربما تحدث في المستقبل، وقد اعتمدت في البحث علىٰ المنهج التأويلي، ومن أهم نتائج البحث: أن الرواية العجائبية المستشرفة للمستقبل لها آليات وتقنيات تخالف الرواية التقليدية المباشرة، فهي تعمل علىٰ تماهي فوق الطبيعي مع الطبيعي لتبني مستقبلا يتخيله القارئ، قدمت الرواية رؤية للمستقبل متفائلة، وحلمت بمجتمع مثالي يتحقق فيه العدل والمساواة. وجاء البحث وفقا لمنهج وطبيعة الدراسة في مقدمة وتمهيد وستة مباحث: المقدمة وتشمل سبب اختياري للموضوع ومنهج وخطة البحث والدراسات

السابقة. والتمهيد خصصته للحديث عن مفهوم الأدب العجائبي واستشراف المستقبل. المبحث الأول: مقاربة تأويلية في غلاف وعنوان الرواية العجائبيين. المبحث الثاني: مقاربة تأويلية في شخصيات الرواية العجائبية. المبحث الثالث: مقاربة تأويلية في أحداث الرواية العجائبية. المبحث الرابع: مقاربة تأويلية في أسلوب الرواية العجائبي.المبحث الخامس: مقاربة تأويلية في زمكانية الرواية العجائبية. المبحث السادس: مقاربة تأويلية في خاتمة الرواية العجائبية. الخاتمة وتشمل ما توصلت إليه من نتائج؛ وذكرت المراجع التي استعنت بها.

الكلمات المفتاحية: العجائبية ـ السيد من حقل السبانخ ـ صبري موسىٰ ـ تحليلية ـ تأويلية.

Al-Ajaybia In novel "The Master of the Spinach Field" by Sabri Moussa(1932- 2018AD) interpretation analytical Study

Fatima Muhammad Qutb Muhammad
Department of Literature and Criticism, Islamic Girls College in Assiut, Al-Azhar University, Egypt.
EMail: fatmakotb973.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The miraculous literature that looks forward to the future is exciting and funny literature that attracts the recipient and arouses his attention to the confusion and anxiety generated in him emanating from predicting what will happen in the future. This prediction differs from one writer to another according to his vision of reality. "Spinach" by Sabri Musa is a pattern of expectation of what will happen in the future, and its creator was able to spread his fears of phenomena that may occur in the future, and it has relied in the research on the interpretive approach, Among the most important results of the research: The miraculous novel that looks forward to the future has mechanisms and techniques that differ from the direct traditional novel, as it works to identify the supernatural with the natural in order to build a future that the reader imagines. The research came according to the methodology and nature of the study in an introduction, preface, and six topics: The introduction includes the reason for choosing the topic, the research methodology and plan, and previous studies. The preface devoted it to talking about the concept of miraculous literature and foreseeing the future. The first topic: an interpretive

approach in the cover and title of the novel The Miraculous. The second topic: an interpretive approach to the characters of the miraculous novel. The third topic: an interpretive approach to the events of the miraculous novel. The fourth topic: an interpretive approach in the miraculous novel style. The fifth topic: an interpretive approach in the spatio-temporal of the miraculous novel. The sixth topic: an interpretive approach in the conclusion of the miraculous novel. The conclusion includes my findings; The references you used are mentioned.

Keywords: Al-Ajaybia - The master from the spinach field - Sabri Moussa - Analytical - Hermeneutics.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الألسن واللغات، والصلاة والسلام علىٰ أفصح العرب لسانا، وأبلغهم بيانا، وأعذبهم كلاما، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

فالأدب العجائبي نوع من الأدب يثير الدهشة والاستغراب، له شروط وضوابط ومعايير، بدا جليا في الروايات العربية لمرونتها، وجذور هذا الفن ترجع إلىٰ الموروث العربي؛ كحكايات ألف ليلة وليلة وغيرها من الروايات الغنية بالأساطير، ولكنه انفتح علىٰ التراث الروائي العالمي المفعم بتقنيات الخيال العلمي، فأدب الخيال العلمي من مكونات العجائبي، نشأ بعد التقدم العلمي الهائل في كافة المجالات، وأبرز مايميزه: التنبؤ، حيث تنبأ المفكرون والأدباء بسناريوهات مختلفة ستصيب العالم، وبخاصة في ظل التقدم التكنولوجي، والذي يسير بخطىٰ سريعة، وهذا التوقع يختلف من مفكر لآخر، فمنهم المتفائل الذي حلم بالمدينة المثالية "اليوتوبيا" التي تتحقق فيها العدل والمساواة، ومنهم المتشائم الذي نظر إلىٰ الحياة نظرة سوداوية "ديستوبيا" حيث يسود الظلم والجهل، وهذا التوقع والتنبؤ يسمىٰ بأدب استشراف المستقبل، فهو مجرد تنبؤ يتوقعه الأديب في ضوء ما وجد علىٰ أرض الواقع من معطيات علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية .

واخترت الأدب العجائبي عنوانا للبحث لأنه من المصطلحات النقدية الحديثة التي ظهرت في الساحة الأدبية وبخاصة في الرواية، والعجائبي فن أدبي طريف؛ يأخذ القارئ إلىٰ آفاق خيالية، ويجعله يتفاعل مع النص، ويُمَكِّن الأديب من التعبير عن أفكاره من خلال تعابيره المتعددة

الرامزة في إبداعه الفني.

أما عن الرواية محل الدراسة، وهي (السيد من حقل السبانخ) للكاتب صبري موسى، فمن أسباب اختياري إياها:

ـ أن العجائبي بدا في الرواية بشكل كبير، من بدايتها حتىٰ نهايتها؛ فأحداثها عجيبة، تجعل القارئ في حيرة ودهشة بحيث لا يصدق ما يقرأ، فيقرأها عدة مرات إلىٰ أن يقر بإمكانية وقوع الأحداث، والأهم من ذلك أن الشخصيات في الرواية تعيش في عالم له قوانين تخالف قوانين عالمنا الذي نعيشه الآن.

ـ أن الرواية تنقد الواقع، حاول الكاتب تحذير مجتمعه ممَّا سوف يحدث في المستقبل من ظواهر ومشاكل؛ موظفا تقنيات الخيال العلمي.

ولذا جاء عنوان بحثي الموسوم بـ" العجائبية في رواية "السيد من حقل السبانخ " للكاتب صبري موسى(١٩٣٢ـ٢٠١٨م) دراسة تحليلية تأويلية.

واعتمدت فيه على المنهج التأويلي، فأحداث الرواية عجائبية تثير الحيرة والتردد، مما دفعني لقراءتها أكثر من مرة؛ فكل قراءة تضيف إلىٰ سابقتها معاني وتفسيرات جديدة، مما يفتح مجالا لتأويل كل حدث يبدو عجيبا غير مألوف؛ في محاولة للوصول إلىٰ النص الغائب الذي لم يصرح به الكاتب، وتقريبه من الواقع وجعله ممكنا.

هذا ولم توجد دراسة سابقة تناولت الأدب العجائبي في رواية (السيد من حقل السبانخ)، ولكن هناك بعض الدراسات السابقة التي تتعلق بالموضوع بشكل غير مباشر ـ وهي بعيدة كل البعد عن معالجة موضوع البحث، منها:

❁ ــ قراءة في رواية السيد من حقل السبانخ أو يوتوبيا عصر العلم، تأليف: حسين محمد عبده، طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م.

❁ ــ تجليات العجائبي في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، تأليف: أسماء أحمد معيكل، الناشر جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ٢٠١٣م.

❁ ــ شعرية اللغة وسحر العجائبي في رواية سرادق الحلم، تأليف: سمية قايم، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠١٨م.

وجاء البحث وفقا لمنهج وطبيعة الدراسة في مقدمة وتمهيد وستة مباحث:

المقدمة وتشمل سبب اختياري للموضوع ومنهج وخطة البحث والدراسات السابقة. والتمهيد خصصته للحديث عن مفهوم الأدب العجائبي، والتعريف بالكاتب، ونبذة عن الرواية.

المبحث الأول: مقاربة تأويلية في غلاف وعنوان الرواية العجائبية.

المبحث الثاني: مقاربة تأويلية في شخصيات الرواية العجائبية.

المبحث الثالث: مقاربة تأويلية في أحداث الرواية العجائبية.

المبحث الرابع: مقاربة تأويلية في أسلوب الرواية العجائبية.

المبحث الخامس: مقاربة تأويلية في زمكانية الرواية العجائبية.

المبحث السادس: مقاربة تأويلية في نهاية الرواية العجائبية.

الخاتمة وتشمل ما توصلت إليه من نتائج؛ وذكرت المراجع التي استعنت بها، وبعد...

فقد حاولت تسليط الضوء على الأدب العجائبي، وتتبع مكوناته في الرواية العجائبية؛ التي تثير قلق القارئ وخوفه من المستقبل، ثم الوصول

إلىٰ النص الغائب الذي يتمثل في التحذيرات التي لم يصرح بها الكاتب، وتقديم رؤية مستقبلية بها بعض الرسائل الهادفة التي وجهها الكاتب بطريق غير مباشر، فإن أفلحت فهو توفيق من الله عز وجل، وإن أخفقت فالكمال لله وحده، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

(الأدب العجائبي ـ الكاتب ـ الرواية)

الرواية فن أدبي يتيح للأديب حرية التعبير عن آرائه وأفكاره حول المجتمع وما يجري فيه من أحداث، وما يستجد فيه من معارف وعلوم متقدمة، ومن هنا ظهر فيها تجسيد النزعة العجائبية الممزوجة بالخيال العلمي المعتمد علىٰ التقدم التكنولوجي وفي ظله يستشرف المستقبل، وهذا اللون يختلف عن العجائبي الممزوج بالخيال والوهم؛ القائم علىٰ الخرافات والأساطير، وكلاهما يحقق الإثارة النابعة من الخوف والدهشة والغرابة.

❁مفهوم الأدب العجائبي:

أصبح الأدب العجائبي ركيزة أساسية في كتابة الرواية العربية المعاصرة، وأصبحت الرواية محملة بالرؤىٰ والأفكار المبهمة التي يقدمها المؤلف لقرائه ومتابعيه، فعليه أن ينتقي لهم كل مفيد وهادف، ويخرج عن قوالب الرواية المباشرة.

ويدخل ضمن العجائبي مصطلحات متعددة منها: الغرائبي والخيالي والفنتازي، والسحري، ولكنها تشترك في الدلالة علىٰ معنىٰ واحد وهو العجيب، وقد وردت كلمة "العجيب" في لسان العرب بمعنىٰ الشيء غير المعتاد ولا المألوف، ويشمل الغريب والخارق:" فالعُجْبُ والعَجَبُ، إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقلة اعْتياده، وجمع العَجَبِ أَعْجَابُ، والتَّعَجُّبُ مما

خفيَ سببه ولم يُعْلَم، وعَجِبَ لِفِعْلِه: اندهش أخذهُ العَجَب، وعجائب جمع عجيبة: شيء خارق غير معتاد، وعجيب: غريب [(١)].

وفي الاصطلاح وردت تعريفات عديدة للعجائبي، منها ما أورده "تودوروف": حيث ذكر أنه: " التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما هو يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر، فهو مزيج بين الواقعي والمتخيل"[(٢)].

أما "**روجيه كايو**" فعرف العجائبي بأنه:" يشكل قطيعة مع العالم الذي ينتمي إليه، وبروزا مفاجئا لما هو معروف في الحياة اليومية التي لا تتغير"[(٣)].

"فتودوروف" حصر العجائبي في إحساس المتلقي بالتردد عندما يصادف حدثا فوق طبيعي، أما "روجيه" فقد جعل العجائبي عالما غير مألوف يختلف عن عالمنا بما فيه من أنظمة وقوانين، أي أن هناك عالمين عالم واقعي نعيشه، وآخر عجائبي متخيل، وتردد القارئ أمام العالمَين هو ضابط الأدب العجائبي، **أما آلياته فهي:**

---

(١) انظر: لسان العرب، تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري المتوفى ٧١١هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبع دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مادة (عجب).

(٢) مدخل إلى الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ترجمة الصديق بو علام، تقديم: محمد برادة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، طبع: دار الكلام الرباط، ص١٨ .

(٣) العجائبي في رواية الغيث لمحمد ساري، للباحثة حكيمة بوقرومة، مجلة دراسات، كلية الآداب واللغات، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، ٢٠٢٠م، ص٦٩ .

ـ تردد القارئ هو الإجراء الأول الذي يحدد العجائبي.

ـ ثم تأتي بعد ذلك الخطوة الثانية، وهي وقوف القارئ أمام هذا التردد، فيضطر إلىٰ قراءة النص أكثر من مرة محاولا تفكيك بنائه لفهمه، وفي هذه الحالة" يشك القارئ أولا في وقوع الأحداث فعلا، ثم في أن يكون فهمه إياها صحيحا، وفي الثانية يتساءل فيما إذا كان ما يعتقد إدراكه ليس في الحقيقة ثمرة مخيلة"[١].

ـ أما الخطوة الأخيرة فهي" ضرورة اختيار القارئ لطريقة خاصة في القراءة من بين عدة أشكال ومستويات تعبر موقف نوعي يقتضي التأويل[٢]، فالعجائبي يقتضي التخييل، وهذا التمازج بين الواقع والخيال يسبب حيرة القارئ، ويفتح مجالا للتأويل من خلال الأثر أو إشارات داخل النص، وهذا التأويل يختلف من قارئ لآخر حسب ثقافته وعلومه ومعارفه.

لذا ينبغي التعرف علىٰ المنهج التأويلي بوصفه ركيزة رئيسة اعتمد عليها البحث، فقد ورد في لسان العرب "أوَّل الكلام وتأوله: فسَّره، والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه"[٣]، وهذا يعنىٰ أن المعاني تتعدد وتختلف لعدم وضوحها، لأن الواضح الجلي لا يحتاج لتأويل.

(١) مدخل إلىٰ الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ص٥٧ .

(٢) انظر مدخل إلىٰ الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ص١٨ .

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (أول).

"تشكلت أوصال المنهج التأويلي في كنف الفلسفة الغربية وخاصة الألمانية منها، مع كل من شلايرماخر فيلهام دليتاي إضافة إلىٰ هيدغر وغادامير"(١).

فالتأويلية(الهرمنيوطيقا باللغة اليونانية) تعني فهم وتفسير النص، هي من المفاهيم الأكثر تداولا في ساحتي الفكر والمعارف وبخاصة في تيار ما بعد الحداثة، فهي فاعلية ذهنية فنية تعمل علىٰ دحر وتبديد الإبهام والغموض في تلقي الموضوعات والظواهر الوجودية، بغية توليف معان واضحة تتسم بالمقبولية (٢)، وقد مرت التأويلية بمراحل ثلاث، تطورت من خلالها من المرحلة الكلاسيكية التي اقتصرت فيها علىٰ تأويل النص الديني إلىٰ المرحلة الرومانسية التي أسسها "أرنست شلايرماخر"، وفيها أصبحت تشمل النصوص الأدبية والإنسانية والفلسفية والتاريخية وغيرها(٣)، فالتأويلية عند "شلاماخر" تعتمد علىٰ" تحليل الخطاب تحليلا يستند إلىٰ اللغة المستخدمة والبحث في المسعىٰ الفكري الناشط في الخطاب، وكل من اللغة والمسعىٰ الفكري يعيّنان للخطاب هويته وقوامه

(١) التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، تأليف: عادل العناز، طبع: دار الثقافة، حكومة الشارقة ٢٠١٩م، ص٥٤.

(٢) انظر التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، تأليف: عادل العناز، ص٥٨.

(٣) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ترجمة: محمد شوقي الزين، طبع: الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧ه، ص٧٠.

وطبيعته"[١]، فاللغة شرط أساس للتأويلية، ولا يتحقق فهم اللغة إلا من خلال الإلمام بقواعد اللغة أي أن فهم النص يكون من خلال لغته، وهناك تأويل سيكولوجي خاص يهتم بقصد المؤلف أي فهم النص كما فهمه المؤلف، ويكون ذلك من خلال" معرفة الكاتب في خصوصيته من خلال سيرته الذاتية/ الحياتية، والإحاطة بموضوع التفسير إحاطة موضوعية وفنية منصفة، وفهم القصد المباشر للمؤلف أي التركيز علىٰ البعد النفسي البحث في القراءة[٢]، فالتأويل عند "شلايرماخر" يتكون من دائرتين: دائرة لغوية ودائرة سيكولوجية، والدائرة التأويلية هي الأساس الذي يقوم عليه بناء التأويل، والمؤول عنده يبحث عن المعنىٰ الذي قصده المؤلف ولم يفصح عنه، وهذا يجد فيه المؤول صعوبة بالغة خاصة إذا كانت المسافة الزمنية بين المؤلف والقارئ بعيدة[٣] ، بخلاف تأويل النص عند" غادامير" فجعله بعيدا عن قصدية ذات المؤلف، حيث أغفل نسق المرجعية أي شبكة

(١) شلايرماخر: الهرمينوطيقا العامة السمات والشروط، تأليف: أيوب كوش، نوفمبر ٢٠١٥م.

(٢) شلايرماخر: الهرمينوطيقا العامة السمات والشروط، تأليف: أيوب كوش، نوفمبر ٢٠١٥م.

(٣) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص٥٣.

العلاقات الاجتماعية[1]، وبذلك تتعدد المعانىٰ والتأويلات، وتصبح غير محددة.

أما المرحلة الأخيرة من التأويلية فهي الفلسفية والتي ظهرت عند "غادامير"، وتتكون خصائص الفلسفة التأويلية عنده من ثلاث دوائر تأويلية هي: دائرة لغوية: يتم فهم النص من خلال لغته وفق قواعد اللغة،" فلكل نص سياق أوسياقات، بفضل الطبيعة اللغوية لكل تفسير، فإن كل تفسير ينطوي علىٰ إمكان نشوء علاقة مع الآخرين، فما من قول أو حديث إلا وهو يربط بين المخاطِب والمخاطَب، عندما يفهم المرء شخصا آخر فإنه يتمثل قوله حتىٰ ليصبح هذا القول قول المرء نفسه"[2]، ودائرة جمالية: يعتمد تأويل المتلقي فيها علىٰ ذوقه الجمالي وثقافته أكثر من اعتماده علىٰ مناهج مطبقة وقواعد صارمة[3]، ودائرة تاريخية: يتم فهم النص من خلال أفق التلقي عبر العصور؛ يمنح الفهم التاريخي للنص مصداقية،" فالوعي التاريخي يجعل الأحكام المسبقة واعية وتقود الفهم، قصد تمكين التراث والرأي الآخر في الظهور والانكشاف لذاته، فاللغة

(١) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص٢٩.

(٢) فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقا- نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، تأليف: د/ عادل مصطفىٰ، طبع رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٧م، ص١٤.

(٣) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص١٥.

والتاريخ والوجود ليست عناصر مترابطة فحسب بل ملتحمة وملتئمة معا[١] ، ففهم النص يختلف بمرور الزمن.

ـــ فلسفة التأويل مع النص تكون في صورة سؤال وجواب، ويتم فهم النص من خلال حوار بين المفسِّر (المتلقي) والنص، وتفسيره للنص يكون بإجابته عن الأسئلة[٢]، ولكي يفهم ويجيب عن الأسئلة، ينبغي أن يكون لديه موقف. استباق. سياقية، هذا ما يعرف بدائرة الهرمنيوطيقا، فالمرء لا يسعه أن يعرف إلا ما هو مؤهل لمعرفته، ويمكن أن تعد عملية تضييق فطري وتعمية ذاتية، وبحسب النظرية التأويلية الفينومينولوجية، فإن دائرة الهرمنيوطيقا ليست مغلقة بل مفتوحة، وذلك بفضل الطبيعة الرمزية والتأملية والذاتية لوجودنا"[٣].

ـــ إن آفاق التلقي السابقة تحكم المؤول، التفاسير تتعدد بتعدد المفسرين، كل التفاسير السابقة صحيحة،" يلتقي أفق القارئ بأفق النص، القارئ يقرأ بفهمه وبأطره المرجعية، ولكن ما يقرؤه هو بناء له عناصره ودقائقه وعلاقاته التي تحكمها آفاق الزمن الذي كتبت فيه، القراءة إذن

(١) انظر فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقا. نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، ص٢٩٨.

(٢) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص٢٩.

(٣) انظر فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقا. نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، تأليف: د/ عادل مصطفىٰ، ص١٧.

موثوقة بالنص وتاريخه، كل قراءة هي محض تأويل، دخول تاريخية القارئ في تاريخ النص ليست هنا قراءة دائمة ثابتة" [1].

وأضاف كل من "دلتاي" و"هيدجر" منطلقا للتأويلية الفلسفية، فجعلا هدفها هو الفهم النابع من الحياة ذاتها، فهي خبرة نعِيها بالإحالة إلىٰ أفق خبرتنا نفسها[2].

وسأحاول تطبيق بعض خصائص التأويلية أثناء تحليل الرواية بدءا من ملابسات كتابتها حتىٰ نهايتها، معتمدة علىٰ ضوابط الفلسفة التأويلية، وسيرة المؤلف الذاتية حتىٰ تكون التأويلات صحيحة إلىٰ حد ما.

❁ مفهوم أدب استشراف المستقبل أو أدب المستقبل:

نظرا لأن (رواية السيد من حقل السبانخ) رواية عن المستقبل؛ فينبغي الوقوف عند أدب المستقبل أو أدب استشراف المستقبل فهو نوع جديد من الأدب ظهر بكثرة في الروايات العربية، فكلمة اسْتِشْرَاف وردت في لسان العرب بمعنىٰ الارتفاع والعلو، فاسْتِشْرَاف مصدر اسْتَشْرَفَ، واسْتِشْرَاف المستقبل: التَّطَلُّع إليه أو الحدس به، واسْتَشْرَفَ: انْتَصَبَ وعَلَا، واسْتَشْرَفَ الشيء: رفَعَ بصره لينظر إليه[3].

---

(١) انظر فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقا. نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، ص١٩.

(٢) انظر فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقا- نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر ص١١١.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (شرف).

أدب المستقبل هو "الأدب الذي يقرأ بعمق الحاضر بكل أبعاده وتفاصيله، بغية بناء قدرة علىٰ التنبؤ بالمستقبل، فالنظرة الثاقبة والواعية، التي يمتلكها الأديب في قراءة مجريات الواقع، تقوده نحو تطوير مهارة القدرة علىٰ التنبؤ بالحدث قبل وقوعه والتطلع للخبايا في المستقبل، قد يكون من باب التحذير منها أو التبشير بها، قبل أن تثبت الأحداث لاحقا مدىٰ واقعيتها"[١]، فالكاتب يقدم رؤية مستقبلية؛ مبنية علىٰ قراءة الواقع من الممكن أن تحدث أو لا تحدث أصلا.

وأدب استشراف المستقبل اتجاه من اتجاهات أدب الخيال العلمي، وقد "سارت روايات الخيال العلمي في اتجاهات منها: ما أطلق علي اسم الأوبرا الفضائية (الكون الذي يتحرك فيه الأبطال، والمجرات والكواكب)، ومنها ما كان توقعا أو تنبؤا لاختراع جديد خاص، أو إنجاز حضاري مهم... [٢].

"جونثان سويفت" أول أديب تنبأ تنبؤا علميا وهو أن للمريخ قمرين يدوران حوله، وتمكن العالم "أساف هول" عام ١٨٧٧م من إثبات ذلك، وهذا يعني أن التنبؤات أحيانا تتحقق كلها أو بعضها لأنها مبنية علىٰ أساس

(١) أدب التوقعات، تأليف: محمد طيفوري من الرباط، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، نشر بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢٠م

(٢) انظر: أدب الخيال العلمي، تأليف: جان غايتنيو (أستاذ الأدب الانجليزي في جامعة باريس، ترجمة المهندس: ميشل خوري، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٠م، طبع: دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ص١١.

علمي[1].

فالخيال العلمي شكل أدبي مدهش يحاول بناء عالم خيالي فيه مخترعات حديثة واكتشافات جديدة في ضوء التقدم العلمي.

❁ العلاقة بين الأدب العجائبي والخيال العلمي وأدب المستقبل

يدخل أدب الخيال العلمي ضمن الأدب العجائبي، فالمشترك بينهما وصف حقيقة تعد بالنسبة للقارئ خيالية، واللجوء إلىٰ الغامض وغير الطبيعي [2]، أدب الخيال العلمي يشمل استشراف المستقبل والأوبرا الفضائية، حيث يستند علىٰ أساس علمي، "فهذه التنبؤات المزعومة هي عامة من صنع كُتَّاب متابعون الحركات العلمية"[3]، فالعلم لا حدود له، فهناك دائما اكتشاف جديد، غير متوقع ينقذنا من كارثة طبيعية، وكأن العلم عصا سحرية تكشف لنا المجهول والغامض من الأمور[4]، فالدهشة والحيرة والتردد والغموض عناصر مشتركة بين الأدب العجائبي والخيال العلمي، ولكن الأدب العجائبي أعم حيث يشمل كل ما هو عجيب ومستغرب ومستبعد سواء أكان قائما علىٰ الخرافات والأوهام أم علىٰ العلم والتقدم، فالاكتشافات العلمية والتقدم التكنولوجي وتطور تقنياته ووسائله تثير العجيب.

---

(١) أدب التوقعات، تأليف: محمد طيفوري من الرباط، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، نشر بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) انظر أدب الخيال العلمي، تأليف: جان غايتنيو، ص١٤٧ .

(٣) أدب الخيال العلمي، تأليف: جان غايتنيو، ص١٤٢ .

(٤) انظر أدب الخيال العلمي، تأليف: جان غايتنيو، ص١٤٨ .

وأدب المستقبل له ضوابط، منها:

ـ يحقق للقارئ الدهشة والمفاجأة؛ لاعتماده علىٰ عنصر التخييل وتجاوز الواقع.

ـ تنبؤ الكاتب بأحداث سوف تحدث في المستقبل في ضوء التقدم العلمي.

ـ عدم تحديد الزمان والمكان وإبهامهما.

ـ اشتماله علىٰ تقنيات الخيال العلمي من مخترعات وماكينات وحواسيب.

ـ الاحتياج إلىٰ كثير من التأويل وإعمال الفكر لمعرفة النص الغائب أو التحذير الذي أراد المؤلف أن يمرره للمتلقي.

❁ التعريف بالكاتب

إن الوقوف عند السيرة الذاتية للكاتب وأعماله الفنية، والتعرف علىٰ الظروف والمواقف التي أسهمت في إفرازها يعين المؤول علىٰ فهم النص محل الدراسة، والوصول إلىٰ تأويلات مناسبة لقصد كاتبها، " فعملية تفسير النص تتوقف علىٰ الوصول لذهنية المؤلف من خلال التعرف علىٰ الفضاء المسيطر علىٰ المؤلف حين إبداعه النص، والدقة في فهم ألفاظ النص ودلالته وإشارته، والتعرف علىٰ الظروف الثقافية والحضارية للمؤلف، ورؤيته الكونية، وبذلك يتوصل بدقة لقصد المؤلف وفهم مراده، فيصبح النص مرآه تعكس ظروف ونوايا الكاتب "[1].

صبري موسى: كاتب روائي وصحفي وسيناريست، ولد بمحافظة دمياط عام ١٩٣٢م، أسهم في تحرير جريدة الجمهورية، كان مدير مكتب روزاليوسف في العراق والخليج العربي، له العديد من المؤلفات الأدبية، وقد ترجمت بعضها لأكثر من لغة، وله روايات كثيرة، توفي عام ٢٠١٨م في محافظة الجيزة عن عمر يناهز ٨٦ عاما[2].

حصل علىٰ العديد من الجوائز، منها جائزة الدولة للسيناريو والحوار عام ١٠٦٨م، وجائزة الدولة التشجيعية في الأدب ١٩٧٤م، وعلىٰ وسام

---

(١) شلايرماخر: الهرمينوطيقا العامة السمات والشروط، تأليف: أيوب كوش، نوفمبر ٢٠١٥م.

(٢) معلومات لا تعرفها عن الكاتب الكبير صبري موسىٰ، جريدة الوفد، رئيس مجلس الإدارة/ عبد السند يمامة، رئيس التحرير: سامي صبري، بقلم: إيمان محمد، نشر عام ٢٠١٨م.

الجمهورية التابعة للعلوم والفنون عام ١٩٩٢، وعلىٰ جائزة الدولة التقديرية عام ٢٠٠٣م[١].

فأغلب أعمال الكاتب صبري موسىٰ تجسد الواقع؛ ساعده علىٰ ذلك العمل الصحفي الذي أتاح له فرصة التعرف علىٰ الواقع المصري بكل تفاصيله ودقائقه، وتحليل القضايا والمشاكل والتعبير عنها بلغة رشيقة شيقة، ومن خلال قراءتي لبعض رواياته وجدت أنها تختلف عن بعضها، (ففساد الأمكنة) تختلف عن (حادث النصف متر) وتختلف الروايتان السابقتان عن رواية (السيد من حقل السبانخ)، وغيرها، ففي (حادث النصف متر) عبَّر فيها عن بعض المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع المصري، وفي (رواية فساد الأمكنة) كان سبب كتابتها هو ما حدث في شم النسيم حين ترك الناس فوارغ الطعام في كل مكان وداست أقدامهم الحشائش بلا رحمة هكذا يفعل الإنسان مع الطبيعة[٢]، وخلص منها إلىٰ معنىٰ أوسع وأشمل، وهو التعريض بإهمال الناس، حيث ينقلون عللهم إلىٰ الأماكن التي يحلون بها، والفساد الاجتماعي يتبعه حتما فساد سياسي؛ لذا تنبأ فيها بهزيمة ١٩٦٧م، وفي رواية (السيد من حقل السبانخ) ركز الكاتب علىٰ التقدم التكنولوجي ودوره في تغيير مجرىٰ الحياة، كتبها في بداية الثمانينيات، ووظف فيها تقنيات الخيال العلمي؛ التي توقع وجودها في

(١) انظر كتاب وروائيون في أدب التخيل العلمي، تأليف: محمود قاسم، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، مارس ٢٠٢٢م، ص١٤٨.

(٢) صبري موسىٰ الزاهد لا تمدحه المدينة، جريدة المصري اليوم، بقلم/ أحمد الفخراني١٣/ ١١ ٢٠١٣م.

المستقبل في ظل التقدم العلمي السريع؛ لذا يقول صبري موسىٰ: "علىٰ الأديب أن يسبق عصره وينظر للمستقبل، نحن وما زلنا نتعامل مع الكتابة بمنطق الثبات لا بمنطق التحول، مع أن العلاقات الاجتماعية تتغير بفعل العلم، فاكتشافات العلم الهائلة تطرق علينا الباب " [1].

إن أغلب كتابات الكاتب (صبري موسىٰ) بدا فيها حرصه الشديد علىٰ الحفاظ علىٰ القيم والمبادئ والأخلاق، وعرضه للكثير من الظواهر الاجتماعية، واهتمامه البالغ بالجمال والذوق في المجتمع المصري، ويؤيد هذا ما قاله: " من حق الأديب أن يهتم بالمشكلات التي يراها جديرة بالاهتمام، دون أن يكون هذا انفصالا عن الواقع؛ لأنه واقع حقا" [2]، واستطاع التعبير عن أفكاره وآرائه عن الإنسان والحياة والكون بكل حيادية وحرية، وبدا فيها ميله إلىٰ الاتجاه الأدبي الفلسفي.

❁❁❁❁❁

(١) مشكلة الإبداع الروائي عند جيل الستينيات والسبعينيات، تأليف: صبري موسىٰ ومؤلفون آخرون، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص٢١٣.

(٢) مشكلة الإبداع الروائي عند جيل الستينيات والسبعينيات، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢١٤.

❁نبذة عن الرواية

الرواية محل الدراسة، كتبت ما بين عامي ١٩٨١ــ ١٩٨٢م، تصنف ضمن رويات الخيال العلمي، وقدمت رؤية مستقبلية لمصير الإنسان في ضوء التقدم التكنولوجي، وتطرقت إلىٰ أفكار رئيسة عن السعادة والإنسانية والحرية والجمال.

وسردت أحداثا بعضها تحقق بالفعل، والبعض الآخر لما يتحقق، وعلىٰ الرغم من أن المؤلف كتبها منذ سنين إلا أنها تحكي الواقع، فكاتبها لديه رؤية ثاقبة أتت من حرصه علىٰ الاهتمام بالمجتمع وقضاياه.

أما عن ظروف وملابسات رواية (السيد من حقل السبانخ)، فذكرت "أنس الوجود" أن الكاتب صبري موسىٰ "كتبها أثناء إقامته في نيويورك، وفي حواراتنا الممتدة أثناء سنوات مرضه الطويلة حكىٰ لي أنه استوحاها من طبيعة الحياة في نيويورك، لاحظ أن الناس هناك كأنهم مبرمجون؛ حياتهم آلية شديدة الانضباط، وبلا روح ولا إنسانية، فتخيل مجتمعا شديد التقدم وفي منتهىٰ الرفاهية، لكنه مفتقد السعادة، وبالرغم من انبهاره بهذه الحضارة والرقي إلا أنه عُرِضَت عليه الجنسية الأمريكية فرفضها"[(١)]، وهذا يدل علىٰ وطنيته وحبه الشديد لمصر.

قال الدكتور/ حسين محمد عيد:" لقد جاوز الكاتب صبري موسىٰ بتقديمه هذه الرواية، محلقا إلىٰ آفاق فنية وفكرية عالية وجديدة، تعد

(١) أنس الوجود تواصل قصة حبها لصبري موسىٰ، بقلم أيمن الحكيم، ١٣/ ٦/ ٢٠٢٠م، موقع الهيئة الوطنية للإعلام.

انعكاسا لقدرات الفنان الكامنة فيه، عندما يتبنىٰ قضايا المجتمع الإنساني عامة وقضايا مجتمعه خاصة"[1]، لذا تفاعل معها كثير من القراء والنقاد.

ومما يعين القارئ علىٰ اكتشاف دلالات جديدة للنص خبرته المعرفية التي تكونت لديه من خلال قراءاته لكثير من الأعمال الفنية السابقة، والتي يستحضرها في ذاكرته عند قراءته للنص، ورواية (السيد من حقل السبانخ) تشبه رواية (يوتوبيا) "لتوماس مور" تنبأ كاتبها بمجتمع فاضل ينتشر فيه الخير والثراء لا مكان للشر والفساد فيه، وتحقيق حياة كريمة عادلة لكل أفراده.

وتعد رواية (السيد من حقل السبانخ) من النصوص المفتوحة، والنص المفتوح من المصطلحات التي تبناها أنصار ما بعد الحداثة، وهو" يوحي أكثر مما يقول، يصدم أكثر ممَّا يوافق، يحاول أن يمزج في داخله الفكاهة باللوعة والواقعي بالسحري، والمعنىٰ باللامعنىٰ، نص ينفتح علىٰ آلاف الاحتمالات"[2]، وتكثر النصوص المفتوحة في الروايات التأملية الفلسفية.

تدور أحداث الرواية حول شخص يدعىٰ (السيد) يعمل في حقل السبانخ، متزوج وحياته مستقرة، كسر روتينه اليومي، وقرر عدم العودة إلىٰ مسكنه، فعندما عادت زوجته ولم تجده؛ بحثت عنه بجهاز الاستخبار

(١) قراءة في رواية السيد من حقل السبانخ أو يوتوبيا عصر العلم، تأليف: حسين محمد عيد، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص٢٣٥.

(٢) النص المفتوح: مفهومه ومرجعياته، تأليف: د/ رباب هاشم حسين، موقع متخصص بالثقافة والفلسفة والأدب والنقد الحداثي وما بعد الحداثة، ١١ يونيو ٢٠٢٠.

الشخصي، ولما تأخر زوجها تأخيرا مقلقا بلَّغت موظف الاستخبارات، وفي الوقت نفسه شعر (السيد) بالتعب، ومشىٰ كثيرا حتىٰ وصل إلىٰ مقر عمله في الصباح، وعندها تحركت جميع لجان عصر العسل للتحقيق معه، ومعرفة أسباب خروجه عن النظام، انتهىٰ التحقيق معه بوقفه عن العمل، ودارت مناقشات بين المؤيدين لعصر العسل والمعارضين له، انتهت بخروج (السيد) ومن معه إلىٰ الأرض.

المبحث الأول

مقاربة تأويلية في غلاف وعنوان الرواية العجائبية

يشكل العنوان عتبة مهمة من عتبات النص، وعاملا مهما من عوامل جذب القراء له، فهو" الأثر الذي يتعرف به إلىٰ مضمونه، والظاهر الذي يستدل به علىٰ باطنه"[1]، وهو المفتاح الرئيس للرواية عند القارئ والكاتب؛ فلابد أن يهتم به الكاتب جيدا؛ فهو يعني للقارئ وسيلة مهمة لفهم مضمونها، وبالنسبة للكاتب فرصة جيدة لترويجها وشد انتباه القارئ لها.

ويعد الكاتب صبري موسىٰ من الروائيين الذين يهتمون باختيار العنوان، دلَّ علىٰ ذلك قوله:"إن العنوان مهم بالنسبة لي، ولطريقتي في الكتابة.. بدون العنوان لا أشعر أن الأساس الروائي الذي سأقيم عليه البناء قد اكتمل"[2].

فعنوان رواية صبري موسىٰ "السيد من حقل السبانخ"، (السيد) مبتدأ مرفوع وتعني إنسان له سلطة وخدم، و(من) حرف جر و(حقل) اسم مجرور وهو مكان مخصص للزراعة، والسبانخ مضاف إليه مجرور، نوع من الخضروات يطبخ ويؤكل، كونت كلمات العنوان جملة مفيدة، تبين أن الرجل المرسوم علىٰ الغلاف يسمىٰ "السيد" بطل الرواية يعمل في حقل

(١) قراءة في غلاف الرواية، بقلم: جان محمد بلوافي، نشر ١ مايو٢٠٠٩م، موقع ديوان العرب.

(٢) العنوان في الرواية العربية دراسة، تأليف: عبد المالك اشهبون، طبع: محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع٢٠١١م، ص٤٨.

السباخ، وربما اختير (السبانخ) بالتحديد لأنه خضار غني بالفيتامينات التي تعالج فقر الدم، فيمكن تصنيعه، لكن ما حقل السبانخ؟ وأين مكانه؟ وما طبيعة الناس الذين يعيشون فيه ويعملون معه؟، كلها أسئلة تحتاج إلىٰ إجابة، "بداية الفهم موجودة بوجود شيء ينادينا ويدعونا إلىٰ الفهم، إنها أولىٰ الشروط التأويلية، غير أن كل تعليق لحكمنا وبالتالي لأحكامنا المستقبلية، يمتلك من وجهة نظر منطقية بنية السؤال، جوهر السؤال هو فتح إمكانية جديدة[1]؛ لتأويل جديد، فنقطة بداية التأويل هنا هي الأسئلة التي يطرحها العنوان، والتي قصد المؤلف إثارة الإشكالات ليدعو المتلقي إلىٰ التفكير فيها للوصول إلىٰ تأويلات.

أما غلاف الرواية فيمثل هوية النص ومكونا أساسا فيه، فينبغي الاهتمام به واختياره بعناية، فمن خلال رؤيته بالعين ينطبع في ذهن القارئ تخيلات وسيناريوهات عن الرواية، و"من شروط تصميم الغلاف الفعَّال، أن يكون قادرا علىٰ جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، ولتحقيق هذه الغاية فإنه يتطلب خاصيتي التناسب والمرونة البصرية، لتحقيق أكبر تمركز بصري ممكن"[2].

والغلاف في "رواية السيد من حقل السبانخ" يبدو وكأنه لوحة فنية تشكلت من مجموعة من العناصر: مثل الصور كصورة الرجل والقاطرات

(١) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص ١٣٠.

(٢) قراءة في غلاف الرواية، بقلم: جان محمد بلوافي، نشر بتاريخ ١ مايو ٢٠٠٩م، موقع ديوان العرب.

الهوائية والألوان الهادئة الصافية، والعلامات كالأعمدة المنظمة، كل ذلك عَكَس التحول التكنولوجي ومحاولة تكيفه مع الحياة الخيالية الخالية من الصراع والنزاع، وفجأة ينبثق التوتر والقلق من صورة الرجل الغريب الكئيب المختلف عن صورة الإنسان في زماننا، يشبه الإنسان الآلي، ولأن الرواية استشرافية فتراه ينظر لأعلىٰ، ممَّا يجسد الغموض والدهشة، ومما يثير الاستغراب أن الرجل الغريب جالس وحده في مكان نظيف منظم هادئ لا يسير فيه بشر، فيه أعمدة بيضاء كل عمود يلي الآخر علىٰ بعد متساو منه؛ مما يرمز إلىٰ تحقق الشفافية والمساواة، ولا توجد وسوائل مواصلات ولا عوادم سيارات علىٰ الإطلاق، وهذا مؤشر إلىٰ الحياة المثالية "اليوتوبيا"[1] التي تنبأ بها الكاتب للإنسان في المستقبل، وهذه الرواية تقع في مائتين وثمان وعشرين صفحة، والرواية لها عنوان رئيس شامل للأفكار، يضم عناوين فرعية كل عنوان منهم يختص بالفكرة التي يتناولها، ولكن هناك ارتباط بينها وبين العنوان الأساس، وفي رواية "السيد من حقل السبانخ" تسعة عناوين فرعية، وهي: لحظة خارج البرنامج ـ اذهب فأنت حر ـ حرم السيد وصديقه ـ اتصال غامض ـ حالة السيد هومو؟ ـ رحلة إلىٰ الذاكرة ـ برنامج ثوري! حيرة السيد هومو؟ ـ الخروج.

(١) اليوتوبيا عالم افتراضي مثالي يسوده العدل والمساواة والحياة السعيدة دون مأذق أو أزمات،

حياة أفضل من الحياة الراهنة تنبأ به الكاتب وحلم بتحقيقه في المستقبل (انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ط١ ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، طبع: الدار العربية للعلوم ناشرون، ص٧٥.

فعنوان وغلاف الرواية مليئان بالإيحاء والرمز، ويلفهما الغموض والإبهام ممَّا يحتاج إلىٰ إعمال فكر لإيجاد العلاقة بينهما وبين النص، فالعلاقة بينهما ترابط وانعكاس فكما يثيرا الدهشة والاستغراب فكذلك ما بداخل الرواية، فالعنوان كسر أفق توقع المتلقي، فاعتقد أن (السيد) فلاح بسيط يعمل في الحقل، وهذا التصور الذهني يخالف ما ورد في الرواية من مظاهر حضارية وتكنولوجية متقدمة تثير غرابة وحيرة المتلقي، (فالسيد) يعمل في حقل السبانخ، ليس حقلا زراعيا عاديا، وإنما حقل استنبات ضوئي للسبانخ عجيب "[1]، فدوره هو تشغيل الآلات، وهذا يدفع المتلقي إلىٰ طرح أسئلة أخرىٰ تتطلب إجابة، لمَ يبدو شكل (السيد) غريبا علىٰ الغلاف؟ وهل سيصبح شكل الإنسان مثل (السيد) في المستقبل؟ ولمَ يجلس وحده كئيبا؟ كل ذلك يجذب القارئ لمعرفة أحداث الرواية، ويتطلب منه إجابة عليها بعد قراءتها، "لأن فن التأويل لا يكتفي بفهم العبارة بناء علىٰ قيمتها المنطقية، وإنما بفهمها إجابة عن سؤال"[2]، وهذا يجعله يقرأ الرواية مرات عديدة.

❁❁❁❁❁

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، طبع/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٧م، ص٩ .

(٢) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص ٨٩.

المبحث الثاني

مقاربة تأويلية في شخصيات الرواية العجائبية

الشخصية ركيزة أساسية لبناء الرواية؛ فمن خلالها تتحرك الأحداث وتنمو داخل العمل، وتنوعها يكسبه الحياة والحركة، فتتنوع بين الحقيقة والخيال، المألوف والخارق، الخير والشر، الجد والهزل....

والشخصية التي تحرك أحداثا عادية مألوفة من المتوقع حدوثها، يقبلها القارئ من غير تردد تسمىٰ شخصية عادية أو مألوفة، وهي تختلف عن الشخصية العجائبية، في أن" الرواية العربية تمتلك خصوصيتها ببناء العجائبي في الشخصية، حيث تنمو بدورها داخل الواقعي وتتفاعل معه بالصراع مستثمرة وظائف الرغبة والقدرة والمعرفة، والتحول، لبناء أفعال عجائبية تؤسس لمصائر وأقدار تحير وتدهش، ولكنها تخلق واقعا ثانيا جديرا بالانتباه[1].

فالشخصية العجائبية تحرك أحداثا غريبة لا يمكن حدوثها في الواقع المعتاد؛ لأنها تنقضه وتهدمه، وتقيم عالما خياليا عجائبيا علىٰ أنقاض المعتاد المألوف.

لذا فهي" متنوعة غنية تضافر في خلقها كثافة خيالية فوق المعتاد، موحية من حيث الدلالات التي يمكن أن تنبئ بها في كل موقف حدثي"[2].

والشخصيات في رواية" السيد من حقل السبانخ" متنوعة، وأجاد الكاتب في رسمها واختيارها، وتعد شخصية "السيد" الرئيسة في الرواية،

---

(١) انظر بنيات العجائبي في الرواية العربية، تأليف: شعيب حليفي، ص١١٦ .

(٢) شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٩٧.

تدور حولها الأحداث العجائبية، و(السيد) رمز للإنسان، ومما يؤكد ذلك إطلاق الكاتب اسم هومو(الإنسان باللغة اللاتينية)علىٰ (السيد) في بعض فصول الرواية.

(فالسيد) إنسان يبلغ من العمر خمسين عاما، متزوج ولم ينجب بعد، يعمل في حقل السبانخ، ليس حقلا زراعيا عاديا، وإنما حقل استنبات ضوئي للسبانخ عجيب؛ فالانتاج والتعليب والتصدير يتم من خلال الماكينات والآلات الحديثة.

لذا (فالسيد) يشعر بالملل والفراغ من الراحة والروتين اليومي، "يذهب إلىٰ عمله يوميا وبعد الانتهاء تبتلعه السيارة الضخمة الهوائية وتطير به، وبعد عشر دقائق بالضبط تهبط به فوق ذلك البرج الشاهق الممتد من الأرض ــ ارتفاعه أكثر من مائة وخمسين طابقا ــ إلىٰ الطابق الثلاثين(مجمعه السكني)[1]، ففكرة أن يكون هناك سيارة هوائية تحمل (السيد) ـ وغيره من العمال ممن يعملون معه ــ من مكان عمله إلىٰ شقته كل يوم فكرة غريبة مدهشة لا تحدث في الواقع .

ثم يدخل شقته ليواصل الحياة المملة التي زهدها؛ متنقلا بين المقاعد الوثيرة المصنوعة من الإسفنج في سأم، وهو يحمل بين يديه أكواما من تلك الكتب الصغيرة الناطقة، فيضغط مفتاحه لينطلق صوت المؤلف يحكي له حكايته"[2] حتىٰ لا يجهد نفسه في القراءة، في هذه الحياة العجيبة كل الأجهزة مبرمجة لراحة الإنسان.

---

(١) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٠ .

(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١ .

تشارك (السيد) تلك الحياة المملة ـ في اعتقاده ـ زوجته (ليالي)، وهي شخصية لها دور مهم، تتبادل معه أفكاره وخواطره، "تعمل في محطة القضاء علىٰ الأعاصير، وتوجيه العواصف وتوليد الحرارة من الغيوم، تلك المحطة التي تتولىٰ مسؤولية انضباط الجو والمناخ [1]، وهي وظيفة غريبة غير موجودة في مجتمعنا.

وصف الكاتب زوجته بأنها رقيقة ولم يتحدث عن تفصيلات جمالها، (وليالي) رمز للمحبوبة، وفي ذلك دلالة علىٰ حب (السيد) لزوجته وارتياحه لها، "قدموها له منذ خمس سوات في إحدىٰ الحفلات الأسبوعية التي تقيمها لجنة ترتيب المجتمع حينما جاء موعد الاستجابة لطلب زواجه، اختارتها الآلات الحاسبة الإلكترونية له، بعدأن أحصت صفاته وصفاتها الموروثة والمكتسبة، والآلات لم تكذب في الحقيقة، فحياته مع (ليالي) حياة بهيجة فعلا "[2].

والزواج بهذه الكيفية (الآلات الإلكترونية) يعد غريبا، يخالف ما تم التعارف عليه في عالمنا الواقعي، حتىٰ وإن كانت حياته مع زوجته خالية من المشاكل ولكنها رتيبة روتينية؛ فعندما "تعود زوجته من عملها تقدم له الشاي وتحكي له أخبارها، ثم يحضران درسا مرئيا في معالجة المشاكل اليومية للحياة في الفضاء ساعة أخرىٰ، ثم يطلعهم الجهاز علىٰ التقرير النهائي المصور لكل ما حدث في المعمورة ذلك اليوم المنصرم، وبذلك ينتهي الإرسال، فيتوقف التيار الكهربائي، وينقطع النور مرة ويضيء إيذانا

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٧.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٩٠ .

بموعد النوم، ثم ينقطع نهائيا بعدها بخمس دقائق فينام مرغما"[١].

وربما يرجع إحساس (السيد) بالملل إلىٰ الفراغ والراحة، فكل شيء في حياته تقوم به الآلات والماكينات، (فالسيد) قد تحول إلىٰ آلة كل أفعاله محددة بوقت معين، كالزواج والإنجاب، حتىٰ النوم يكون بالإكراه في العالم العجائبي، والتحول من سمات الشخصية العجائبية، حيث تبدلت من حال إلىٰ نقيضه.

ومن الشخصيات التي لها صلة وثيقة بالشخصية المحورية (السيد) صاحبه "دافيد"، وهذا الاسم من الأسماء الغربية الشائعة، يعمل في مصانع البيرة المركزة يناقشه في كل ما يخطر بباله، أعزب، "قد أدرجته لجنة ترتيب المجتمع في قوائم الذكور الذين سيتم زواجهم في الموسم القادم"[٢]، وهو شخص بلا عاطفة، مقتنع بالحياة في عصر العسل، ومؤيد لكل ما يقدمه النظام من مشاريع وبرامج.

وهناك شخصية مثقفة، العالم "بروف" وهو لقب يطلق علىٰ الأستاذ الجامعي، رجل في التسعين من عمره، كان عضوا في الهيئة العليا للتكنوقراط[٣]، تبنىٰ آراء وأفكار (السيد)، ووقف بجانبه وسانده، بما لديه من أدلة وبراهين .

وفي الرواية الكثير من الشخصيات الثانوية التي تمثل الإدارة في عصر

---

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١ .

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١ .

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٦٣ .

العسل، وتأخذ شكل لجان كل لجنة لها اختصاص، مثل لجنة التحقيق التي اختصت بالتحقيق مع (السيد)، وتتكون من أربعة أعضاء، ولجنة ترتيب الزواج ولجنة الصحة العامة، ولجنة العمل ولجنة التعليم والثقافة وغيرها، وهي شخصيات تتسم بالجمود والثبات، ويغلب عليها الجانب العقلي.

وقد تعمد السارد وصف حياة الشخصيات بأسوب مشحون بفنون بلاغية ودلالية، "والتبئير يؤدي إلىٰ التمركز في حقيقة معينة كاعتبار الإنسان حقيقة الكون المركزية للحكي، فالتبئير هنا أيديولوجي له خلفية ثقافية واجتماعية وسياسية، يسعىٰ الواصف إلىٰ تبئير كيان أو كائن بتقديم معلومات وصفية داخلية وخارجية، والوصف للشخصيات العجائبية هو تبئير للعجائبي ومركزه الشخصيات[1].

فالشخصية العجائبية الرئيسة التي تهيمن علىٰ سير الأحداث في الرواية يغلب عليها الشعور بالاكتئاب والاغتراب النفسي؛ علىٰ الرغم من توفر كل وسائل الرفاهية والراحة، مما يتطلب تفسيرا لتوضيح هذا الإبهام الذي قصده الكاتب، وتركه للقارئ "فمركز التأويل تشغله ظاهرة كانت مهمشة تماما تحتاج لتسليط الضوء عليها لفهمها وتوليد المعاني من خلالها[2]، ربما همَّش الكاتب ذاته وأسقط مشاعر الملل والاغتراب النفسي علىٰ بطله، ومهمة القارئ معرفة السبب وراء إحساسه هذا من خلال سيرته، وتأويل هذا الإحساس يختلف من قارئ لقارئ، ومن عصر لعصر،

(١) شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٨٠.

(٢) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص ١٢٨.

فالتاريخية من دوائر التأويل التي اعتمدها غادامير" فالوعي التاريخي يجعل الأحكام المسبقة واعية، وتقود الفهم، قصد تمكين التراث والرأي الآخر في الظهور والانكشاف لذاته"(١).

تنوعت وتعددت الشخصيات في الرواية، وأدت كل منها دورها الذي رسمه الكاتب، وأغلب أسماء الشخصيات العجائبية لها دلالات رمزية تتفق مع حبكة النص، وتثير فينا كوامن معارف ومواقف كثيرة، وقد تجاهل الكاتب أوصاف الشخوص ربما عن قصد، فلماذا يصف المظهر الخارجي لشخوص في عالم خيالي لا يهتم بذلك؟ الآلات الإلكترونية هي من تحدد درجة التوافق بين الأزواج، لا قيمة للشكل في مجتمع عادل لا يهتم بالمظاهر، الكل سواء في هذا العالم المثالي، ومن المحتمل أن يكون الكاتب تعمد ذلك رغبة منه في خرق المألوف، وليلف الشخصية العجائبية بالغموض، كما أن شخصيات الرواية متشابهون لحد يصعب التمييز بينهم، متشابهون في المظهر الجسدي، والطباع وفي المستوىٰ المعيشي، فما السبب في هذا التشابه؟ ربما يرجع إلىٰ كونهم كالآلة، أو للاستنساخ أو أي سبب آخر.

❁❁❁❁❁

(١) فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص ١٣٠.

المبحث الثاني

مقاربة تأويلية في أحداث الرواية العجائبية

أحداث الروية ركيزة أساسية في بنائها، فمن خلال الإحاطة بها وترتيبها تتكون الفكرة التي أراد الكاتب عرضها، " فالنص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلىٰ القارئ، وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلىٰ اللغة بكاملها، ولا سيما قواعد اللغة التي استخدمها الكاتب في إنشاء نصه"[1]، ففي رواية (السيد من حقل السبانخ) سرد الكاتب أحداثا عجائبية؛ جعلها تنمو في غرابة تخالف المعتاد لتذهل القارئ وتحيره، مكونا فكرة استشرافية يود تحققها في المستقبل،" فالفن العجائبي المثال يعرف كيف يحافظ علىٰ بقاء الحيرة والتردد فيه حتىٰ النهاية، فكل انفراج للعقدة سيكون معيبا لأنه يخرجه عن طبيعته[2]، فبدأها بوصف حياة (السيد) العجيبة التي تخالف الواقع وتنقضه حيث كسر المألوف في حياته الرتيبة الخيالية، وهو عودته إلىٰ شقته كل يوم بعد العمل، حيث" كان السيد يقف علىٰ سلم الناقلة الهوائية، وشاهد الباب الالكتروني وهو يبدأ في الانغلاق، ولم يدخل عن قصد[3]، و"مشىٰ السيد كثيرا جدا، ربما ساعتين، فبدأ يشعر بالتعب، وفكر أن يكتفي بذلك ويبحث عن سيارة تعود به إلىٰ مسكنه، لكنه تذكر أن المواصلات

(١) شلايرماخر: الهرمينوطيقا العامة السمات والشروط، تأليف: أيوب كوش، نوفمبر ٢٠١٥م.

(٢) مدخل إلىٰ الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ص٦٧ .

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٢ .

الهوائية محددة المناطق مؤقتة بمجال العمل "[١]، لا شيء في هذه الحياة المنظمة الدقيقة يسير بعشوائية، أو متروك للظروف،" فعندما عادت السيدة (ليالي)، ولم تجده في مسكنهما، وكانت قد تعودت دائما أن تجده حين تعود من عملها في منطقة الربع الشمالي من المعمورة البشرية المقتطعة من خراب الأرض[٢].

يتضح من ذلك أن الأرض أصبحت خرابا بعد الحرب الإلكترونية الأولىٰ نتيجة الإشعاعات الذرية الناتجة عن القنابل والصواريخ التىٰ أصابت الأرض فمات الملايين، ولم ينج إلا القليل[٣]، هذا الجزء الذي نجا تحكمت فيه الآلات، يقطنون أبراجا سكنية عالية تمتد مئات الأمتار من الأرض، فيها أجهزة تكنولوجية متطورة لخدمة الإنسان، من ذلك" جهاز الاستخبار الشخصي الذي أدارته زوجته لتبحث عنه، وضبطت قناته علىٰ شقة (دافيد)، فوجدته يمارس رياضة الجري، لكن شاشة الجهاز لم تعكس صورة زوجها، ووجهته في كل مكان يحتمل تواجده، فأضاءت الشاشة بصورة موظف الاستخبارات في المركز الفرعي لاستخبارات القطاع السكني، وقالت إن زوجها قد تأخر تأخيرا يكاد يكون مقلقا عن عودته المعتادة[٤]، في هذا المجتمع تستطيع بهذا الجهاز أن ترىٰ أي شخص في الأماكن المعروفة التي يرتادها، كما "فعل موظف الاستخبارات

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٣.

(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٧.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ،ص٢١١.

(٤) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٨.

فوجد(السيد) يجلس وحيدا بغير أن يفعل شيئا، فقال: إنه سيرسل تقريره التليفزيوني المسجل إلىٰ منطقة الأمن المركزي[١].

وفي الوقت الذي فعلت زوجته كل ما تستطيع فعله في البحث عنه، كان (السيد) قد شعر بالتعب" فمشىٰ عائدا إلىٰ حقل السبانخ، وبالرغم من أنه كان يحرك ساقيه ويجر قدميه بصعوبة إلا أن ذهنه كان صافيا، وقد استولت عليه مشاعر كثيرة عجيبة أدهشته، فكانت تشغله تماما عن الألم المنبعث من البرد والجوع وعدم النوم...."[٢]، (فالسيد) يندهش لأنه أول مرة يشعر بالجوع "الذي سمع عنه كثيرا في الكتب التي تحكي حكايات قديمة عجيبة زمان كان يموت فيه ناس لا يجدون ما يأكلون، زمان كان الناس يأكلون الحيوانات والطيور بشراهة كبيرة؛ تؤدي بهم في النهاية إلىٰ الموت بعد السبعين، بينما الإنسان الحالي يعيش في المتوسط مائة وخمسين عاما، لأن النظام الصحي الذي وضعته إدارة الصحة المركزية يعتمد أساسا علىٰ الأغذية الكيماوية والبروتين النوعي المنتج معمليا[٣].

فالفارق كبير بين المجتمعين الخيالي والواقعي، في كل شيء في متوسط السن وطبيعة الطعام، ففي المجتمع الخيالي الرقمي" كل مواطن له رقم تحتفظ تحته اللجنة العليا لإدارة الأقاليم بجميع البيانات اللازمة عن هذا المواطن ..رقم موحد يجعل من السهل الحصول علىٰ جميع البيانات

(١) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٢.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٥.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٥ ــ ٢٦.

اللازمة عن هذا المواطن في عدد محدود من الثواني"[١]، فالمواطن في هذا المجتمع له قيمة كبيرة، فعلىٰ الرغم من عودته في اليوم التالي إلىٰ عمله، ولكن كل الإدارات واللجان اجتمعت للاطمئنان عليه ومعرفة ما الذي دعاه إلىٰ هذا التصرف؟، فكونوا لجنة لاستجوابه من خلال عملية التحقيق الآلي، "عرفوا من خلال الذبذبات علىٰ شاشة التحليل أن (السيد) شعر بالضيق، ففي عينيه تعبير غير مألوف، شبيه بتلك التعبيرات التي تشاهد في عيون البشر؛ الذين يظهون في الأفلام التي تعرض أحيانا في التليفزيون؛ لتسلية المواطنين المعاصرين بالحياة العجيبة التي كان يحياها الأسلاف[٢]، هذه الأفلام حركت فيه الإحساس بالجمال الطبيعي لا الصناعي.

اتخذ الكاتب من تمرد (السيد) علىٰ حياته، وسيلة لبث فكره جعل أحداث الرواية تدور حولها، وهي البحث عن سبب تعاسة (السيد) وعدم رضاه عن حياته.

انتهىٰ التحقيق بعدم عودة (السيد) إلىٰ حقل السبانخ؛ مع منحه إجازة يتفرغ فيها لمراجعة حالته لحين انتهاء التحقيق الآلي، لن يتأثر راتبه من السيولة النقدية، ولا كوبونات الأسواق التبادلية التي تحصل بها علىٰ أنواع الكماليات "[٣]، ومما يبرهن علىٰ حرية الرأي والفكر في هذا المجتمع إن "هذا التحقيق الآلي كان يذاع علىٰ شاشة الملهىٰ الخاص بالبرج السكني

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٢٩.

(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٣٥ ــ ٣٦.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٤٨.

التابع لحقل السبانخ[١]، فأصبح (السيد) حديث المعمورة، وبعد انتهاء التحقيق؛ تحدث مع صديقه "دافيد" واعترف أن سبب تمرده علىٰ الحياة، هو إحساسه بالتعاسة فكل ما حوله مريح؛ حتىٰ عمله تقوم به الآلات، فعقله لا يعمل[٢]، ولم يستخدم إرادته، ومعنىٰ ذلك "أن الإنسان المعاصر قد تم حرمانه من العفوية الفطرية...ومن الروح المغامرة..."[٣]، "وإن البشر قد أصبحوا متشابهين إلىٰ درجة مقلقة... نسخ متطابقة من طريقة اللبس والغذاء والتفكير والأداء الحياتي اليومي.."[٤]، وكان صديقه يقنعه بالبقاء في عصر العسل.

مظاهر الحياة في عصر العسل

الزواج فيه قائم علىٰ اختيار الآلات الإلكترونية لصفات الأزواج، ويتم التزاوج المعملي[٥]، ويكون الإنجاب بعد خمس سنوات من الزواج، وتكون الولادة معملية.

أما الطعام فطعامهم الغذاء الكيماوي والبروتين النوعي، فهناك وجبات جاهزة للجميع من خلال أنابيب التغذية التي تكون في تجويف الحائط، تتحرك تلقائيا، وتتوقف بمجرد الوقوف أمامها، فيتناول المواطن الغذاء ساخنا أو باردا في أي وقت[٦].

(١) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٦١.
(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١٢.
(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١٥.
(٤) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١٦.
(٥) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٤٧.
(٦) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٨٨.

السكن: الناس يسكنون في أبراج شاهقة، أبوابها في السقف حيث تهبط الكبسولات، وفي كل مسكن كل وسائل الحياة المريحة، و "روبوت" يقوم بالخدمة.

ونظرا لإصرار (السيد) علىٰ موقفه دارت مناقشات استمرت ثلاثة أيام بين المعارضين للنظام (الطبيعيين) كالسيد وبروف ومن تبعهما، والمؤيدين له، انتهت بخروج الطبيعيين إلىٰ الأرض،" وكانوا حوالي مائة شخص وخمسين، بينهم ستون امرأة، كانوا جميعا يتصرفون بحماس ومرح؛ كأنما هم مقبلون علىٰ نزهة ممتعة(١).

فأحداث الرواية تجعل القارئ في حالة من الدهشة والحيرة، لأنها سردت أحداثا عجائبية غير موجودة في مجتمنا، وكل حدث عجائبي يتبعه سلسلة من الأحداث العجائبية ليحتفظ بالتوتر والقلق داخل النص، وحشدت كمًّا هائلا من الآلات الإلكترونية لإثارة خيال المتلقي، وإصابته بالذهول، ولتأويل هذه الأحداث العجائبية، ينبغي الربط بينها وجمع شذراتها، و"فهمها انطلاقا من النص نفسه، وينبغي علىٰ كل تأويل صحيح أن يخضع للمراجعة المستمرة كلما تقدمنا في اختراق المعنىٰ"(٢)، وليس معنىٰ ذلك أن النص الذي يحتمل تأويلات عديدة يقبل كل تأويل، لكن يحكمه لغة النص وضوابط التأويل.

❁❁❁❁❁

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢١٠.

(٢) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

المبحث الرابع

مقاربة تأويلية في أسلوب الرواية العجائبية

أسلوب الرواية هو الطريقة التي ينقل بها الكاتب الأحداث والمواقف التي تقوم بها الشخصيات إلىٰ المتلقي، والأحداث في الرواية متسلسلة متتابعة، تدرج السارد في وقوع الأحداث بالترتيب بدءا من بدايتها إلىٰ نهايتها، والأسلوب العجائبي يختلف عن الأسلوب المباشر في تميزه بالمرونة، وامتلاكه لكثير من الدلالات التي تثير تردد المتلقي وتدفعه إلىٰ متابعة الأحداث،" فالخطاب العجائبي من خصائصه استعمال الخطاب البلاغي، حيث يرتبط بالصور البلاغية للتعبير عن الأشياء فوق الطبيعية [١].

ففي مواضع قليلة من رواية (السيد من حقل السبانخ) يكون السارد مشاركا في الأحداث، ويسمىٰ السارد الملتحم فيلتحم في الشخصية، ويشارك في الأحداث، وهذا النمط قليل، وهو "أمر نادر في الروايات العجائبية، وغالبا ما يتم الحكي هنا بضمير المتكلم[٢]، ومنه قول (السيد):" لكني أعتقد أن بروف هذا يقترب من الحقيقة، هو فقط يحتاج لبعض الأدلة والبراهين"[٣]، وأحيانا كثيرة يسرد الأحداث، ويقوم بنقلها فقط دون تدخل منه، فيحكي هذه الأحداث، فتودوروف فضل "السارد غير المجسد لأنه إذا حكىٰ لنا سارد معين الحدث فوق الطبيعي؛ فإننا نكون عندئذ داخل العجيب، ولن يكون ثمة مجال للشك بكلامه، لكن العجائبي

(١) مدخل إلىٰ الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ص١٠٤ .

(٢) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٥٦.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٠٩.

يقتضي الشك"[١]، فيستخدم ضمير الغائب، كقوله:" أخذ السيد يجيل عينيه في المكان، ورأىٰ خادمه الآلي قابعا في ركنه المعهود، ورأىٰ زوجته (ليالي) نائمة علىٰ مقعد... ورأىٰ الفراش المعلق والنباتات المتسلقة المدلاة علىٰ جانبيه.."[٢]، حيث نقل ما رآه دون تدخل منه، وهذا النمط يزيد من انفصاله عن الفكرة وارتباطه بها في الوقت نفسه.

أما عن الرؤية السردية أو التبئيرية[٣]، **فقد تنوعت بين الرؤية من خلف** "التبئير الصفر" السارد أكبر من الشخصية، حيث يعلم السارد أكثر من الشخصية، بل يقول أكثر مما تعلمه أي شخصية من الشخصيات"[٤] مثال ذلك قول السارد عن (السيد) لما رفض العودة إلىٰ سكنه " كان البرد ينفذ إلىٰ عظامه؛ مضافا إليه ذلك الضعف الداخلي الذي استولىٰ عليه؛ لأنه لم يتناول بالأمس وجبة عشائه المعتادة..كما أنه لم ينم أيضا..، وبالرغم من أنه كان يحرك ساقيه ويجر قدميه بصعوبة، إلا أن ذهنه كان صافيا جدا، وقد استولت عليه مشاعر كثيرة عجيبة..أدهشته..أدهشه أنها كانت تشغله تماما عن الألم المنبعث من البرد والجوع وعدم النوم..وأخذ يفكر وهو ملتذ

(١) مدخل إلىٰ الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ص٨٨ .

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٢٥.

(٣) التبئير هو تقليص وتضييق حقل الرؤية عند الراوي، وحصر معلوماته، فالسرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية(معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د.لطيف زيتوني ص٤٠.

(٤) خطاب الحكاية (بحث في المنهج) تأليف: جيرار جينيت، ترجمة / محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلّىٰ، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٢٠١.

جدا"[1]، عرف السارد بواطن الشخصية، وفسَّر وحلل كل ما تشعر به من أحاسيس، **والرؤية مع أو المصاحبة** أو التبئير الداخلي"، السارد يساوي الشخصية، فالسارد لا يقول إلا ما تعلمه إحدىٰ الشخصيات[2]، وهذا يعطي الحكي مصداقية وواقعية، من ذلك قول السارد" وصل الأمر في عصر العسل أنهم يصنعون بطريق التكاثر الخلوي في الأنابيب نسخا متماثلة من البشر، من أمهات يتم اختيارهم بالحاسب الإلكتروني، أتكون تلك الخيانة التي ارتكبها الإنسان وهو يقف علىٰ قمة تطوره ضد الطبيعة فعلا، فبدأت الطبيعة الآن تنتقم منه؟ وإلا فما تفسير حالة (السيد)، ربما يرجع ذلك إلىٰ عدم النضوج الناتج عن الإحساس بفقدان الذاتية، وربما كانت هناك في النفس الإنسانية إمكانية بيولوجية تحاول في الوقت المناسب منع الإنسان من الغرق في السعادة[3]، السارد لم يعرف السبب وراء تمرد الشخصية، وعدم احساسها بالسعادة، فما بداخل الشخصية لم يعرفه السارد، أضف إلىٰ ذلك أن هذا النمط يقنع المتلقي من خلال المفارقة والتعارض والتساؤل، فالرواية تثير أسئلة كثيرة، **والرؤية من الخارج** أو التبئير الخارجي، السارد أقل من الشخصية، فالسارد يقول أقل مما تعلمه الشخصيات[4]، لا يتحدث إلا كما يراه ويسمع"، كقول السيد:"سمعت

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٥.

(٢) خطاب الحكاية (بحث في المنهج) تأليف: جيرار جينيت، ص٢٠١.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٠٤.

(٤) خطاب الحكاية (بحث في المنهج) تأليف: جيرار جينيت، ص٢٠١.

من أجهزة الإعلام في عصر العسل، إن قدر الإنسان هو الخلود، وهذا الخلود يكمن في خضوع الإنسان لنواميس تريد له التطور المستمر"[١].

وجاء السرد اللاحق قليلا في الرواية، و"في هذا النمط يتموضع السارد في موقع يمكنه من عرض أحداث فوق طبيعية ما دام الحكي العجائبي هو أدب الماضي" [٢]، كما ورد في السرد " فقد كان الإنسان القديم يعاني من الجوع والكبت والقهر الاستغلالي والحروب المتعددة.. وكانت أمامه لا تزال، مُثُل عُليا كثيرة وأهداف يسعىٰ بنجاح أحيانا، أو بإخفاق في أحيان أخرىٰ، لتحقيقها..ففي عصر العسل كل شيء قد تحقق له"[٣]، فالسرد في الماضي يعطي الاطمئنان، ويبرز التناقضات بين الماضي والمستقبل.

ونظرا لأن الرواية عن المستقبل، فقد ورد السرد المتقدم كثيرا فيها، وهو نمط يملأ الحيز الروائي بإخبارات تفيد الوقوع في المستقبل الذي يدخل في باب الغيب والمحجوب[٤]، ومنه قول السارد:" تتمكن الأبحاث الجديدة من إنشاء الذرية من الخلايا الجسدية للكائن الحي..جزء من شفته أو لسانه أو أي قطعة حية أخرىٰ.. يتم تربيتها في أنبوبة معقمة.. فتنمو لتنتج نسخة حية أخرىٰ جديدة من الكائن الحي الذي أخذت منه، صورة طبق

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٨٤.

(٢) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٤٧.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٣٦ ـ ٣٧.

(٤) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٤٨.

الأصل منه"[1] تنبأ السارد بأحداث سوف تحدث في المستقبل، تشكل استباقات تحير المتلقي، وتجعله يحاول إيجاد تفسيرات لها لإزالة الغموض؛ فاستخدم الفعل المضارع لتوضيحها، فالتوضيح والفهم يكون من خلال السياق عند(شلايرماخر)، "اللفظ يتقيد بسياق الجملة، فإن النص بدوره جزء لا يتجزأ من الكل، فالنص تجلي لحظة خلاقة هي جزء من الحياة الفكرية للمؤلف في شموليتها"[2] .

وجاء السرد المزامن للحدث، حيث يتطابق فيه كلام السارد مع جريان الحدث[3]؛ لقصد الإيهام بتزامنية الأحداث، كقول السارد: "ففي الوقت الذي قرر (السيد) أن يكرر تجربة الشعور بالجوع، سمع أزيزا فالتفت إلىٰ ساعة يده التي تستخدم كجهاز استقبال وإرسال صوتي، وكان النداء يقول بصوت يبدو قويا وواثقا..اسمي بروف..هل تتخاطب معي؟[4] (فبروف) معارض لعصر العسل، واتصل به في الوقت المناسب الذي كان عليه أن يتخذ القرار، وهذا النمط يزيد من حدة التوتر والقلق في الرواية.

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٢٦ ــ ٢٢٧.

(٢) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص ١٢٠.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢م، طبع: دار النهار، بيروت ـ لبنان، ص١٠٦.

(٤) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٨٤ ــ ٨٥.

ووظف الكاتب السرد المدرج فهو نمط يخلق نواة سردية تسوق التنوع إلىٰ مدارات تجريبية تخصب الحكي[١]، حيث يتداخل في المقطع أزمنة مختلفة، مثل الحوار الذي دار بين المعارضين للبرنامج التطوري وبين المؤيدين له، "قال (دافيد): أنا شخصيا سوف أعطي صوتي للمشروع، قالت (ليالي): أود أن أعرف كيف تفكر الآن، يا زوجي الحبيب؟، قال (هومو): أيتها الزوجة الحبيبة، وأنت أيها الصديق العزيز، إنني غير قادر علىٰ اتخاذ قرار بهذه السهولة، لكن شعوري الداخلي الغامض والمبهم يقودني وراء (بروف)، وكأنني مربوط إليه بخيوط غير مرئية، قالت له: ابتعد عن (بروف) هذا وعن طريقه، قال (هومو): إنني لا أستطيع التفكير..لا أستطيع التفكير[٢]، وتعددية الخطابات بين الشخوص يسهم في منح المحكي العجائبي إيهام بواقعية الحدوث، وتنوع الضمائر بين المتكلم والخطاب والغيبة، والحركة الترددية بينهم تدفع الرتابة عن المتلقي، وتجذبه لمتابعة الأحداث، كما وظف التشبيه للدلالة علىٰ شدة انسياق (هومو) لمعتقدات بروف، واتباعه له فيما يقول، وكان للتكرار دوره في التعبير عن مشاعره المتوترة العاجزة عن التفكير.

ووظف المشهد ليكسر أحادية صوت الراوي، حيث تتكلم الشخصيات بلسانها ومدىٰ إدراكها[٣]، فقال: "استمر (السيد) في النقاش مع صديقه دافيد، وكانت (ليالي) قد قطعت عليهما خلوتهما من خلال جهاز

(١) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٤٩.

(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٨٢ـ ١٨٣.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، ص١٥٥.

الاستخبار، لتنبههما إلىٰ ضرورة نوم زوجها حتىٰ لا يزداد سوءا..لكنهما كانا يهزان رأسيهما في استجابة لها وموافقة، ثم يواصلان النقاش..فنامت متعبة، ونام (هومو) وصديقه في مقعديهما[1]، مشهد بين ثلاثة أشخاص وصفه الكاتب أثناء عملية السرد لمنع الرتابة والملل.

وكان الحوار تقنية جيدة لمعرفة ما يدور في ذهن الشخصية من آراء وأفكار، كحوار (السيد) مع العقل الإلكتروني (تقنية خيال علمي) حين سأله (السيد) ماذا يفعل؟ أجاب العقل في برود وثقة: ثبت جنانك يا (هومو) فإني أراك تضعف، أنت الذي علمتني التفكير، فكيف تطلب مني أن أخبرك كيف تفكر؟، وقال (هومو) بألم: لقد وجدت نفسي هنا أمامك، أنت الذي يعرف كل شيء فدعني أعرف.. وقال العقل: إنني فقط أستطيع أن أخبرك ماذا تفعل؟، وقال (هومو) بلهفة: أرجوك أخبرني ماذا أفعل؟ وقال العقل في برود وثقة: لا تجعل بؤرة الإشعاع في دماغك تنطفئ، لا تدع جسدك يجرك إلىٰ مجاهلك القديمة [2]، فهذا الحوار يثير ذهول المتلقي، فالإنسان يحاور آلة من اختراعه، ويطلب منها أن تخبره ماذا يفعل؟ فالعقل الإلكتروني جهاز غير موجود علىٰ أرض الواقع، ولكن تنبأ به الكاتب من حوالي أربعين سنة، ويحتمل تحقيقه في المستقبل، هذا العقل نصحه أن يبقىٰ في عصر العسل، ولكن (السيد) لم يتبعه علىٰ الرغم من علمه أن الآلات لم تكذب، ولكن ما جعله يقرر الخروج إلىٰ الأرض هو الحلم الذي رآه، "رأىٰ أطفاله يسبحون في البحيرة مع الطيور البيضاء، والأسماك الملونة التي تتقافز فيها.[3] أي ما

(١) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٢٣.

(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٨٨.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٩١.

يفيد عودته للأرض.

فمن خصائص التأويل: إرادة الفهم، والبحث عن معنىٰ أو دلالة تصبغ بها قضاياها، من خلال حوار جماعي لحقيقة تشغلهم، فالحقيقة المستخلصة من فاعلية الحوار ليست هي الحقيقة المطلوبة والمغلقة، ولكنها حقيقة مبدعة ومهيأة من جملة الحقائق المنتجة، مما يجعل الفهم مشروعا غير مكتمل دائم المراجعة والتجدد، فالحقيقة التي يكشف عنها الفهم هي مشاركة وإنتاج الدلالة وبلورة المعنىٰ وإنارة السبيل [(١)]، كما "يجسد النص فهم المؤلف الشعوري واللاشعوري للعالم وتوجهه فيه، فالدلالة هي جلب ثقافي للخبرة وإبراز لها إلىٰ حيز الوجود[(٢)].

فالسارد في الرواية نقل الأحداث العجيبة منوعا في صيغه التعبيرية بما يتلاءم مع سياق السرد العجائبي، فقد كان نادرا ما يشارك في وضع الأحداث، وفي الأكثر ينقل الأحداث ويتابعها دون تدخل منه، ووفق في تقديم رؤيته التبئيرية التي تنوعت بما يقتضيه السياق، وهذا بدوره جعل المتلقي يشاركه في إحساسه، ويقوم بتخييل الأحداث العجائبية، ويجعلها في حيز الإمكان، ووظف الصور البلاغية في المشاهد والأحداث بما يخدم النص الروائي، وكان للغة العجائبية المحملة بالمعاني والإيحاءات والدلالات الرامزة؛ دورها الجمالي في التأثير علىٰ المتلقي، وفتح مجالات للتأويل.

❁❁❁❁❁

(١) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص٣١.

(٢) انظر فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقا- نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، تأليف: د/ عادل مصطفىٰ، ص٢٠.

المبحث الخامس

مقاربة تأويلية في زمكانية الرواية العجائبية

مصطلح "الزمكانية" من المصطلحات النقدية التي ظهرت حديثا في الروايات، فهو يجمع بين عنصرين من عناصر القصة، الزمان والمكان، وإدغامهما يعطي الزمكانية[1]، والإدغام بينهما يدل علىٰ تماهي الزمن في المكان، وعدم الفصل بينهما.

و"تظهر الزمكانية في الرواية العجائبية بوصفها وحدة قائمة تؤطر للحدث العجائبي، فيبرز الزمن بعدا من أبعاد الفضاء عصيًّا علىٰ التحديد بسهولة"[2].

فهناك زمنان للرواية العجائبية: زمن الحكي والقصة، وهو زمن يبدو أنه طبيعي، يوهم بالمألوفية، هذا الزمن يتفجر منه زمن آخر، تولده الرواية يحقق إمكانية وجود الفضاء وكلاهما يتحول[3].

وكُتَّاب الروايات العجائبية "ليس لهم دائما موقف منتظم من الزمن، فالتحرك الزمني متضمن، لكن المؤلف لا يتحدث عنه، ولا ينكره ولكن يضعه بين قوسين، فالأحداث التي يقصدونها لا تجري في وقت متأخر، ولكن في مكان آخر" [4]

---

(١) انظر أشكال المكان والزمان في الرواية، تأليف: ميخائيل باختين، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠م، ص ٥ ـ ٦.

(٢) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٨٥.

(٣) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٨٤.

(٤) أدب الخيال العلمي، تأليف: جان غايتنيو، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

فالزمن الذي تولده الرواية زمن يوتوبي مفتوح يحتمل تأويلات عديدة، زمن يمتد ليسع الأحلام السعيدة التي تمنىٰ الكاتب تحققها علىٰ أرض الواقع، الحياة المريحة العادلة لكل الناس بفضل الاختراعات والاكتشافات الحديثة، كما قال: " إن مسيرة تلك القرون من الاستخدام الحضاري، جعل الإنسان حرا بكل ما تحمله تلك الكلمة من معان متسعة... إن كل شيء قد أصبح يدار بإحكام شديد.. وجميع النتائج والثمار توزع علىٰ المواطنين رخاء ورفاهية، بطريقة عادلة"[١]، فالزمن هنا يتسع ليتيح له فعل أي شيء في أي وقت بكل حرية، ولكنه يضيق ويتقيد بقوانين عصر العسل، مثله مثل النص المفتوح ينفتح علىٰ تأويلات كثيرة؛ لا يقبل منها إلا ما يحكمه ضوابط التأويل، ولغة النص نفسه.

والزمن العجائبي في الرواية جسَّد حالة التعجب والدهشة من الحياة المريحة التي تخالف الواقع، " في الساعة السادسة من الصباح تماما خرج "الروبوت" من مكمنه وتوجه مباشرة إلىٰ أنبوب التغذية... فتناول منه كوبا من القهوة ووجبة إفطار، ثم مشىٰ يترنح حتىٰ توقف أمام سيدته، ومضىٰ يعزف لها موسيقىٰ الصباح المعتادة ليوقظها... لكن السيدة نهرته قائلة: اليوم أجازة..إلغ هذا الأمر.. فاستدار وألقىٰ وجبة الإفطار في سلة العادم"[٢]، فالزمن العجائبي سيطر علىٰ المكان وتماهىٰ فيه، فيصعب تحديده، أحيانا يتسع وأخرىٰ يضيق، زمن يخالف الواقع ويناقضه و(عصر العسل)، ليس عصر زمني معين، وإنما عصر خيالي غير معروف ممتد

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٣٧ .

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٢٤ .

يشمل كل عصر، حلم به الكاتب في عالمه اليوتوبي.

وهناك زمن ثقيل تولده الرواية، زمن مفعم بالإحساس بالقلق الذي يشعر به (السيد) بعد تمرده علىٰ الحياة في عصر العسل، فعبر عن إحساسه بالضيق،" إنه أسبوع حافل ..إنه يعادل سنة بأكملها، لكل تلك الأحداث والتغيرات التي حدثت فيه؟" [1]، فالزمن هنا جسد حالة الخوف والتوتر التي خيمت علىٰ البطل، وتتمحور الزمكانية حول الزمن الرتيب الثقيل الممل.

وللتخلص من ثقل الزمن، ودفع الملل والرتابة عن المتلقي، وظف الكاتب تقنيات كالخلاصة، القطع، الاستراحة وغيرها، تعمل على تسريع السرد.

فوظف الخلاصة حيث قال:" استمرت المناقشة ثلاثة أيام بلياليها بين المدافعين والمعارضين للمشروع، ولم تكن عناصر المعارضة كبيرة الحجم إلا أنها كانت أكثر حماسا"[2]، استطاع السارد أن يختصر أقوال المناقشين التي استمرت ثلاثة أيام بلياليها في سطرين.

ووظف القطع حيث تغاضىٰ السارد عن بعض المراحل الزمنية دون الوقوف عندها، "مرت قرون علىٰ الحرب الإلكترونية الأولىٰ، ولا يستطيع أحد أن يؤكد من الذي بدأها[3]، وهذا التكثيف يؤدي إلىٰ تسريع إيقاع السرد.

ومن التقنيات السردية التي وظفها الكاتب "الاستراحة" هي التوقفات

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٠٤ .

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٨٠.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٤٠.

التي يحدثها الكاتب عند سرد الأحداث ليصف شيئا معينا وهنا يتوقف الزمن[١]، ومنه قوله:" كان (السيد) يفكر فيما قاله "بروف" حول العبيد الآليين..من المؤكد أنه يقصد الآلاف المؤلفة من الروبوتات التي تقوم الآن بخدمة البشر في كل مواقع العمل الدنيئة والخطيرة..إنها أجسام آلية من المعدن، لا تملك نفعا ولا ضرا ما لم يتقدم الإنسان ويغذي عقولها الإلكترونية بالمعلومات المطلوبة، فكيف يمكن لهذه الآلات أن تمتلك السيادة[٢]، وهناك فجوات أو فراغات بعد كلمتي (الآليين) و(والخطيرة) تركها السارد متعمدا ليشغل ذهن المتلقي، ويجعله يتوقع المتروك ويكمل تلك الفراغات، ثم قام بالتفصيل والتوضيح فوصف"الروبوت"، وبذلك استطاع أن يهيئ المتلقي لاستقبال الحدث، وينقل حالات شعورية، معبرة عن تبرمه من تلك الآلات المصنوعة.

أما الزمن الآخر المألوف فهو زمن كتابة الرواية في بداية الثمانينيات، فالمسافة الزمنية تعد قريبة بين النص والمتلقي، وهي من ضوابط التأويل التي تحكم النص عند "شلايرماخر"، لأنها:"تعد ركيزة لإمكانية إيجابية ومنتجة للفهم، فهي ليست مسافة نتجاوزها، وإنما اتصال حيّ تتجمع وتتراكم لتتحول إلىٰ تراث، بمعنىٰ النور الذي نحضر من خلاله كل ما بإمكاننا إحضاره من ماضينا، وعليه فهي تميز بين الأحكام المسبقة الخاطئة

(١) انظر خطاب الحكاية (بحث في المنهج) تأليف: جيرار جينيت، ص١١٢.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٨٨.

والأخرىٰ الصحيحة[1]، وهذه الظاهرة تعيننا علىٰ فهم النص واستخراج تأويلات دقيقة إلىٰ حد ما؛ بخاصة إذا كانت المسافة الزمنة قريبة، فيمكننا التعرف علىٰ الظروف الحياتية للمؤلف بخاصة أثناء كتابته للرواية.

أما المكان العجائبي فلا يمكن فصله عن الزمن، وهو مبهم غير محدد وغير موجود في الواقع، مكان متخيل، مزيج من المغلق والمفتوح، الثابت والمتحرك، وغيرها، ففي الرواية مكان أساس وهو المعمورة، مكان يعيش فيه الناس "تحت ناقوس زجاجي.. يحتل جزءا من هذا الكوكب..أما الأرض القديمة فقد انقطعت الصلة بها منذ قرون أربعة تقريبا.. منذ الحرب الإلكترنية الأولىٰ"[2]، وهو مكان متخيل غريب مغلق تدور فيه الأحداث والزمن، فالناس يعيشون في مكان مغلق، والأرض بما فيها مكان مفتوح، وهذا التمازج بين المغلق والمفتوح، الثابت والمتحرك هو المكان العجائبي، والمكان المغلق يحمل أبعادا ودلالات نفسية كثيرة خيمت علىٰ البطل، منها الاغتراب، والشعور بالانقباض والملل، (ومن خلال التعرف علىٰ شخصية الكاتب من خلال أعماله؛ تبين أنه كان يحب الأماكن المفتوحة كالصحراء والجلوس أمام الشواطئ، وكان يكره الأماكن المغلقة)، وهذه المشاعر الحزينة بدورها انعكست علىٰ زمكانية الرواية، وهذا المكان يختلف من وجهة نظر الشخصيات، فهو بالنسبة (للسيد وبروف) يمثل سجنا، وبالنسبة (لزوجة السيد ودافيد) يمثل منتهىٰ الحرية

(١) انظر فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ص٥٣ ـ ٥٤.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١١٩ .

والرفاهية، فالزمن واحد ولكن اختلف من شخص لآخر، فالزمن العجائبي سيطر علىٰ المكان، وجعل البطل ييأس من حياته ويبحث عن مكان آخر وهو العودة إلىٰ الأرض، وهناك أماكن أخري تخدم المكان الأساس، مثل أنابيب التغذية التي تقدم فيها الوجبات والمشروبات الباردة والساخنة(١)، وملهىٰ المناقشات، "فحلقة المناقشات فيه دائرة لا تنتهي..ليست محدودة بزمن"(٢)، وفي ذلك التحام الزمن بالمكان بشكل واضح .

الزمان والمكان في الرواية غير محددين لسردهما أحداثا تخالف الواقع وتناقضه، ومما يدل علىٰ ذلك أنه لا يوجد في الرواية ذكر لتواريخ زمنية، أو أماكن موجودة في الواقع، فقد توفر للرواية تلاحم عنصري الزمان والمكان بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

❁❁❁❁❁

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٨٨ .

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٥٥ .

المبحث السادس

مقاربة تأويلية في نهاية الرواية العجائبية

إذا كانت البداية في الرواية بمثابة مفتاحها، فإن النهاية بمثابة الباب الذي يغلق أو يفتح أحداث الرواية ويكشف عن مصير الشخصيات.

وتتنوع نهاية الروايات طبقا لذلك إلىٰ نهاية مغلقة ومفتوحة، ونهاية الرواية "ليست بالضرورة هي الجملة الأخيرة أو المقطع الأخير، وقد تبلغ الأحداث نهايتها ويستمر الراوي في الكلام معلقا علىٰ الأحداث أومقدما مغزاها فتكون النهاية مقفلة، وقد يتقطع كلام الراوي قبل الوصول إلىٰ نهاية الأحداث، ومعرفة مآل الشخصيات، فتكون النهاية مفتوحة"[1].

ولذا لم يكن غريبا أن تكون نهاية رواية (السيد من حقل السبانخ) مفتوحة، لأن الكاتب أنهىٰ الرواية دون أن يبين مصير السيد (الشخصية الرئيسة)، فعندما قرر الخروج إلىٰ الأرض ومن معه، "كان الجميع مقتنعين إنما هو قرار انتحار.. ورغم أن مهندسي النقليات كانوا مقتنعين بذلك إلا أنهم بذلوا جهدا شديدا للوصول إلىٰ وسيلة نقل تجعل هذا الموت أكثر بطئا"[2]. فقد أصبحت الأرض لا تصلح للبقاء، فقد تعرضوا لعدد من الأحداث المؤسفة، جعلت (هومو) يشعر بالندم والحسرة، فقد سقط أمام عينيه الكثير منهم بسياراتهم ابتلعتها الأرض، فشعر بالانهيار[3]، تمالك

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، ص٨٦.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢١٣.

(٣) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

نفسه ثم اندفع بسيارته إلىٰ أقصىٰ سرعة لها..عائدا إلىٰ البوابة؛ لكنه فوجئ أن الاتصال بالداخل كان مقطوعا، وكانت اللجنة الفرعية للنظام مجتمعة لمناقشة أمر مثير توصلت إليه الأبحاث، وعندما جاءتهم رسالة علىٰ شاشة البث المرئي تفيد بأن أجهزة الاستشعار تنقل بإلحاح صورة رجل السبانخ، وهو يقف منهارا أمام البوابة الخارجية، يدق علىٰ زجاجها السميك بقطعة من الحجر، ويصرخ طالبا بأن يفتح له، فتبادل أعضاء اللجنة النظرات في شيء من الضيق..وغمغم مندوب الصحة: لقد فات الوقت، ومصمص مندوب الأمن المركزي بشفتيه، ثم عاد يواصل حديثه"[1] .

معنىٰ ذلك أنهم اتخذوا قرارا بعدم رجوعه إليهم مرة أخرىٰ، وانضمامه إلىٰ عصر العسل، فالناس في هذا العصر لا يمتلكون عواطف ولا مشاعر إنسانية، فرغم انهيار (السيد) وطلبه العودة إليهم إلا أنهم لم يضعفوا ويفتحوا له البوابة، ومما يدل علىٰ ذلك" ذات يوم كان أحد المواطنين يتنزه مع صديقته في سيارتهما الهوائية بالقرب من البوابة الخارجية الضخمة، فشاهدا من خلف الزجاج السميك رجلا مشعث الملابس، رثّ الهيئة يبدو متهالكا خارج البوابة، وهو يدق علىٰ زجاجها بكلتا يديه في يأس، قالت المرأة: أليس هذا هو (هومو) رجل السبانخ؟ وقال الرجل وهو يشيح بوجهه: نعم إنه هو..هيا بنا نبتعد عن هذا المكان، وقالت المرأة بأسف

(١) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

وهي تتبعه مبتعدة: أما زال يدق الباب؟ هل نسي أن الزمن لا يعود إلىٰ الوراء"[1].

فالكل في عصر العسل لهم نفس الموقف، الكل تخلىٰ عنه لأنه أخطأ، ولكن موقفهم هذا يناقض ما سرده الكاتب من أحداث تدل علىٰ حرصهم الشديد علىٰ حياة الإنسان ورفاهيته، وهذا التحول والموقف النقيض من سمات النهايات المفتوحة الجيدة؛ لأنها تحير القارئ وتخلق توترا بين القارئ والكاتب، حيث توقع القارئ النهاية التقليدية المثالية وهي أن يعيش (السيد) في الأرض ويكوِّن عائلات، ويعمِّر الأرض هو ومن خرج معه بعد أن أصبحت دمارا.

ولكن الكاتب فجعنا وحيرنا بهذه النهاية المفتوحة التي لم تبين مصير (السيد) ومن معه، والتي أثارت في نفس القارئ عدة تساؤلات هل انتصر العقل علىٰ المشاعر الإنسانية؟ حيث احتكم (السيد) إلىٰ قلبه فقط، واعتمد علىٰ الحلم الذي رآه (وهو نزوله الأرض واستقراره بها مع أسرته)، ثم انصدم ولم يجد سوىٰ بوابة مغلقة يدق علىٰ زجاجها (بوابة عصر العسل)، والناس يرونه، ولكن لماذا لم يفتحوا له؟ هل سيفتحون له فيما بعد؟، وما مصير من خرج معه إلىٰ الأرض، هل ماتوا؟ أم أنهم في مكان آخر ولم يتمكنوا من العودة إلىٰ البوابة؟ هذه تساؤلات تحتاج إلىٰ إجابات منطقية تقنع القارئ، وعلىٰ الرغم من إلمام الكاتب بدقائق وتفصيلات الرواية، إلا أنه أراد أن يشغل ذهن القارئ؛ ليشاركه في وضع نهاية ترضيه من خلال تصوره الفكري والشعوري.

---

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٢٢٨.

وبوصفي قارئة ودارسة للرواية، فالنهاية التي رسمتها هي موت (السيد) ومن معه ليكونوا أسوة لمن يخطر بباله الخروج إلىٰ الأرض مرة أخرىٰ، وهذه النهاية مناسبة للإشارات الاستشرافية المستقبيلية التي أرسلها الكاتب في الرواية، كما أنها نابعة من النص نفسه، مثل قوله عن موقف النظام في عصر العسل من السيد وبروف وغيرهما: " إن بوادر الخطر تطل برأسها في السنوات الأخيرة عبر الحالات الشاذة لهؤلاء السادة الذين يتوقفون فجاة عن تيار حياتهم اليومي.. إنها نذر بأن الشعور الفردي لا يزال كامنا بين الحين والحين هنا وهناك، وهي مشكلة صحية والسكوت عليها أكثر من ذلك يعد خيانة لمسيرتنا الجديدة"[١]، ومن قول السيدة عندما رأته يطرق البوابة: هل نسي أن الزمن لا يعود إلىٰ الوراء، ومن قول العقل الإلكتروني للسيد: لا تدع جسدك يجرك إلىٰ مجاهلك القديمة"[٢]، ومن قول الكاتب: "من المفيد جدا أن يتوقف الإنسان لحظة... ويتأمل مسيرته الماضية ويستشرف مسيرته المستقبلية"[٣].

فأغلب روايات استشراف المستقبل امتازت بنهايات مفتوحة تتمحور حول فكرة التحول، وتتضمن موقفا محددا يحفز القارئ نحو التغيير[٤]، إما

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٤٩.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٨٨.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٩٥.

(٤) انظر النهايات السردية في روايات غسان كنفاني، تأليف دكتور: أحمد بن سعيد العدوانين أستاذ مساعد ــ كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرىٰ، مجلة أم القرىٰ، العدد السابع عشر رجب ١٤٣٧ه ـ مايو ٢٠١٦م، ص٩٩.

للأفضل أو للأسوأ، لذا هيمنت دلالة التحول علىٰ نهاية الرواية بخاصة في أفكار الشخصيات الرئيسة، وكانت العلاقة بين بداية الرواية ونهايتها مترابطة، فإحساس (السيد) بالملل في بداية الرواية دفعه إلىٰ تغيير موقفه من حياته وكانت نهايته مأساوية، فالنهاية العجائبية حصيلة لتنامي الأحداث العجائبية وتطورها.

التأويلات الغائبة المحتملة للرواية

الروايات العجائبية يلفها الغموض والتناقض بدءا من بدايتها حتىٰ نهايتها، مما يحير القارئ، ويجعله يقوم بتأويل كل حدث عجيب محاولا التقريب بين المعاني والربط بينها للوصول إلىٰ تأويلات مناسبة تجعل الأحداث العجائبية ممكنة، وهذا النمط من الروايات المفتوحة يمتلك فيضا من الدلالات والمعاني والتأويلات غير محدودة، فالتأويل "مكون أساس من مكونات العجيب وأداة في يد القارئ يستعملها: من أجل تبديد الغموض، فهي وظيفة امتصاصية لتلك الحيرة والقلق المتولدين عن الأحداث فوق الطبيعية [1].

وهذا التأويل الفلسفي الذاتي يعتمد علىٰ التصور الفكري والشعورىٰ للقارئ، أضف إلىٰ ذلك معارفه وثقافته، فهذا النمط من التفسير يختلف من شخص لآخر، فاختلاف ثقافة المتلقي ينعكس بدوره علىٰ تلقيه للنص، ويعتمد علىٰ معرفة مقصد الكاتب، وما يدور في ذهنه من أفكار أثناء كتابة النص.

وللحصول علىٰ تأويلات منطقية لابد من تفكيك النص إلىٰ جزيئات صغيرة، وقراءته عدة مرات لفهمه؛ ولإزالة التناقض وتوضيح الغامض.

ونظرا لما يلف الروايات العجائبية ــ خاصة المستشرفة للمستقبل ــ من تعتيم وإبهام وعدم الإفصاح عن النص الغائب أو المسكوت عنه، فإن تأويلاتها" مفتوحة متنوعة، تستمد عناصرها من المخيلة، كما تستمدها في حالات أخرىٰ من العلم المحض شأنها في ذلك شأن تفسيرها بعض

(١) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص٩٧ ـ ٩٨.

الظواهر نفسية أو غير نفسية"[1]، وهذا يمنح الرواية الإثارة والتجاوب، أضف إلىٰ ذلك "أن الكاتب (صبري موسىٰ) كان مولعا بتجريب طرائق جديدة في الكتابة، لذا تنوعت المنطلقات المنهجية والقرائية حتىٰ أنها لايجمعها رابط سوىٰ ثراء كتاباته التي يمكن قراءتها من أكثر من زاوية، وعبر منهجيات متباينة، وفي كل مرة تثبت جدتها وجديتها، وتعطي القارئ إمكانات قرائية متجددة"[2]، وهذه بعض التأويلات للرواية:

❁ تأويل ديني

ربما يرجع إحساس (السيد) بالضيق والهم إلىٰ غياب الدين، فلم يرد في الرواية ما يفيد أن مجتمع عصر العسل، يلتزمون بتعاليم دينهم، ولم يذكر الكاتب ديانتهم، كل ما يشغلهم في حياتهم الاكتشافات والاختراعات الحديثة، فأراد الكاتب أن يحذرنا من الانبهار بمظاهر الحياة الحديثة وما فيها من تقدم تكنولوجي، بحيث يغفلنا ذلك عن ديننا، فالإنسان إذا بعد عن دينه ضاع وشعر بالتمزق والتشتت، كما حدث في عصر العسل فقد نسوا الخالق وأخذهم الكبر والتجبر، واعتقدوا أنهم قادرون علىٰ فعل أي شيء، قادرون علىٰ صنع إنسان عن طريق التزاوج المعملي أو الاستنساخ (أخذ جزء أو قطعة حية من الإنسان، فتنمو لتكون نسخة جديدة من الإنسان)، وهذا بدوره ينتج نسخا متطابقة من الإنسان الواحد، أي أن" البشر قد

(١) انظر شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ص١٠١.

(٢) قرأت لك صبري موسىٰ السيد من حقل السبانخ رحلة باذخة من الإبداع، بقلم بلال رمضان، مجلة اليوم السابع، ٧ أبريل ٢٠١٨م.

أصبحوا متشابهين إلىٰ درجة مقلقة"[١]، والاستنساخ محرم لما يجر من كوارث لا تحمد عقباها، فالإنسان يجد نفسه مكررا في أعداد كثيرة، والحقيقة أن الإنسان مهما بلغ من العلم والقوة، أضعف ما يكون، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [٢]، وهذا التفسير دلنا عليه الكاتب حين قال:" لقد تطور دماغ الإنسان، ووضع قوانين العلم، بينما ظلت غرائزه علىٰ حالها فلم تتطور، ولهذا فإن تعاليم الأنبياء، وعظماء المصلحين وكبار المفكرين عبر المسيرة البشرية قد ذهبت سدىٰ"[٣]، وفي غياب الدين ينتشر الانحلال الأخلاقي؛ كما بدا في الرواية حينما ألغىٰ النظام في عصر العسل الزواج، قالت (ليالي) لزوجها السيد: "تأكد أننا سنبقىٰ دائما معا برغم إلغاء الزواج، إننا نستطيع أن نواصل اللقاء"[٤]، وهذا يتنافىٰ مع تعاليم ديننا الحنيف لما يترتب عليه من عواقب وخيمة، ونتيجة لغياب الدين يظهر مبدأ البقاء للأقوىٰ، وينتشر الفوضىٰ ويعم الفساد، ويصبح الناس" كالوحوش تطارد بعضها بعضا لتنتزع غذائها[٥]، فالعلم مهما تقدم وتطور لا ينفع البشرية إلا إذا كان مدعوما بالاعتقاد بأن الله عز وجل هو

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١١٦.

(٢) سورة الحج، آية ٧٣.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٢٨.

(٤) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٨٢.

(٥) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٢٢١.

القادر علىٰ كل شيء العالم بكل شيء، وأن العلم الذي توصل له الإنسان بفضله وكرمه لايمثل ذرة من علمه، فعلم الإنسان محدود بالنسبة لعلم الله عزوجل، قال تعالىٰ: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

❁ **تأويل نفسي**

ربما يرجع شعور (السيد) بالحزن واليأس إلىٰ إلإحساس بالعجز وعدم القدرة علىٰ تحقيق ما يريده، فما يعانيه الكاتب من مرض ـ جعله يجلس علىٰ كرسي متحرك ـ أسقطه علىٰ البطل، وهذا المرض جعله يرىٰ الأشياء من منظور كله حسرة وتعاسة وعمَّق إحساسه بالألم، بعد ما كان يحب الحياة ويتجول في الأماكن المفتوحة كالصحراء وعلىٰ الشواطئ، أصبح علىٰ كرسي متحرك لا يخرج إلا للضرورة، وهو بطبعه يكره الأماكن المغلقة فهو فنان وكاتب ذو حس مرهف، وعبر الكاتب عن تبرمه من المرض:، فقال:" وكأن الشعور بتلك المواجهة ثقيلا كأنه حجر مستقر في قلب (هومو)، وهو يتقدم إلىٰ كرته الزجاجية السيارة فيدخل فيها ويستقر علىٰ مقعده"(٢)، (الكرة الزجاجية) ترمز إلىٰ الكرسي المتحرك، وكونه يستقر علىٰ مقعده أي يقعد فيه وقتا طويلا، وهذا التفسير له علاقة بخاتمة الرواية حين تخلىٰ عنه الجميع وتركوه يلاقي مصيره، في مجتمع كهذا(عصر العسل) يحكمه العقل لا مكان فيه لمن يعطل مسيرتهم التقدمية، لذا اختار أن يبعد عن الناس، دلَّ علىٰ ذلك قول الكاتب:"يبدو الروائي صبري موسىٰ مختلفا عن جيله، ليس في الكتابة فقط بل في الحياة أيضا، الأمر كأنه اختيار

(١) سورة الأنعام، آية ٨٠.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٢١٨.

شخصي منه، لذا قرر أن يمشي وحيدا وبعيدا عن الآخرين، مشغولا بالإنسان فقط" [١]، وعبر عن ذلك صورة (السيد) علىٰ صفحة الغلاف حيث بدا حزينا كئيبا وحيدا.

❁ تأويل اجتماعي

ربما يرجع شعور (السيد) بالملل والرتابة إلىٰ افتقاده هويته والعفوية والتلقائية، فكل أفعاله محددة بوقت؛ فأصبح كالآلة مثله مثل الروبوت الذي يخدمه، والكاتب يحذرنا من التمادي والإفراط في استخدام الحواسيب الآلية وكل وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن ينبغي استخدامها فيما يفيد، ويكون بقدر، والإ أصيب الإنسان بالتوحد والأمراض العصابية؛ لأنها تقتل الوقت والمشاعر والأحاسيس، كما وضح من قول الكاتب:" إنكم تقتلون الأحاسيس الخلاقة في المواطنين إنكم تقتلون الحرية الشخصية داخل فكرة الانضباط.. [٢]، وإحساس الإنسان بأنه آله أقلقه، وجعله يشعر بالخوف من مستقبله في ظل فقدان الهوية والقيم والعادات والتقاليد؛ "فعلينا أن نعود إلىٰ بشريتنا ونتشبث بها"[٣]، (فالبشرية) رمز للأصالة والتراث والقيم والحضارة، وحفزنا الكاتب إلىٰ السعي بجد واجتهاد من أجل إعمار الأرض بالعلم والعمل ليكون لمجتمعنا الريادة والصدارة، "فالأرض هي ميراثنا ومسؤوليتنا الوحيدة،

---

(١) صبري موسىٰ الزاهد لا تمدحه المدينة، جريدة المصري اليوم، بقلم/ أحمد الفخراني١٣/ ١١ ٢٠١٣م.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٤٠.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٦٧.

وعلينا أن نبذل جهدنا كله، ونكرس إمكانياتنا جميعا للاهتمام بها"[1]، وعدم الانسياق وراء كل جديد لا يتناسب مع ديننا وعاداتنا وتقاليدنا.

❁ تأويل سياسي

ربما يرجع إحساس (السيد) بالقلق والتوتر إلىٰ فقدان الحرية، فقيود عصر العسل تكبله وتقيده وتجعله مراقبا في كل وقت، ولعل هذا التفسير نتج من خلال وصف الكاتب لعصر العسل، فقال: " إنه فردوس ديكتاتوري"[2]، يبدو أنه أكثر حرية، ولكن في حقيقة الأمر الإنسان فيه مستعبد لا يتصرف بإرادته فيما يخصه من أمور، فالنظام في هذا العصر من يحدد موعد الزواج والإنجاب، وبدا ذلك جليا في التحقيق مع (السيد) حينما تمرد علىٰ روتينه اليومي، فقال (السيد): "لست متهما..لست أدري ..إنني أفكر فقط أن أجرب حريتي"؟[3]، وكان رد النظام عليه:" لو أننا أطلقنا الحرية لكل مواطن كي يتصرف علىٰ سجيته، وكما يحلو له لانفتحت في النظام آلاف الثغرات"[4]، معنىٰ ذلك أن المواطن فيه لم يملك حريته، وإنما هو مستعبد، ولكن (السيد) أعلن تمرده علىٰ الصناعيين، بقوله:"لن يستعبدونني بتلك المفروشات الوثيرة في شقتي، والآلات الروبوتية التي تقوم علىٰ خدمتي، والوجبات الساخنة التي تخترق الجدران

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٧٣.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١٩٩.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٥٢.

(٤) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٤٢.

في أنابيبها المتحركة"[١]، وأصبح رمزا للطبيعيين، وهذا التفسير له صلة وثيقة بمصيره في آخر الرواية، أضف إلىٰ ذلك ماورد فيها من مصطلحات سياسية: كالتحقيق والاستجواب والاتهام، والاستعباد والثورة والاعتقال والسجن..

❁ تأويل اقتصادي

ربما يرجع شعور (السيد) بالسأم والضجر إلىٰ توفر وسائل الحياة المريحة المرفهة التي يحياها الناس في عصر العسل، فأثاثهم من التياتنيوم أو الزركون "أثمن من الذهب والبلاتين وغيرهما من المعادن النفيسة... تستطيع أن تبقىٰ أبد الدهر..وأخف وزنا[٢]، وربما يرجع ذلك إلىٰ قلة عددهم، فالزواج يحدده النظام وتختار الأجهزة الالكترونية الزوجين، والإنجاب يكون بعد خمس سنين، ولكل أسرة طفل، ويتم استنساخ نماذج بشرية لديهم ذكاء قوي ومواهب متعددة؛ ليكونوا أكثر إنتاجا وليعم الخير الجميع، وهذا يخالف ما يحدث في المجتمعات ذات الكثافة السكانية العالية؛ مما يؤثرا سلبا علىٰ مجالات الحياة كالتعليم والصحة والإسكان، في ظل عدم توافر الموارد المالية، لذلك أراد الكاتب أن يلفت النظر إلىٰ ذلك ؛ علما بأن الزيادة السكانية مركز قوة إذا تم استثمار الموارد البشرية وتوظيفها.

---

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٥٢.

(٢) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص٧٩ ــ ٨٠.

❁ تأويل تكنولوجي

ربما يرجع تفسير شعور (السيد) بالقلق والخوف من المستقبل ــ في ظل هذا التقدم التكنولوجي ـ إلىٰ عدم الثقة بالنفس، فأصبح الإنسان يشعر بأنه عالة علىٰ الآلات الإلكترونية، وهذا ما ظهر جليا عندما سأل (السيد) العقل الإلكتروني، فأجابه بسؤال" لماذا تخشىٰ الآلة وتتراجع أمامها، وقد صرت إنسانا بالأداة والآلة.. وبغير الأداة والآلة لبقيت علىٰ درج التطور ملتصق بالأرض إلىٰ جوار أقربائك من الثدييات؟!"[1]، وليس معنىٰ ذلك تجنب مثل هذه الوسائل التكنولوجية وتجاهلها لأنها مهمة بخاصة لبناء مجتمعات رقمية، وهذا التفسير له دلالة بنهاية الرواية؛ فالبعد عنها نهائيا بمثابة الانتحار الذي يرمز للتأخر والرجعية، ولكن ينبغي استخدامها عند الضرورة فقط، كما بدا ذلك من خلال رد "دافيد" حين سأله السيد: "لست أدري... دون مساعدة الحاسب الالكتروني.."[2]، أصبح الإنسان يعتمد عليها بشكل كبير فتجده يرجع إلىٰ محرك البحث؛ للبحث عن أسهل المعلومات دون أن يعتمد علىٰ عقله.

❁ تأويل جمالي

ربما يرجع تفسير شعور (السيد) بالضيق إلىٰ افتقاده الجمال من حوله، ومما زاد إحساسه بالكآبة أن كل شيء من حوله مصنوع مخترع، حتىٰ النباتات والأشجار مصنوعة مثل شجرة الأكاسيا" فهي شجرة صناعية.. تسقط بين الحين والحين ورقة من أوراقها الخضراء وزهورها الحمراء

(١) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص١٩٠.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ١١٥.

والصفراء والبنفسجية[١]، وعلىٰ الرغم من جمالها إلا أنها ليست طبيعية، فوجود الجمال الصناعي فيه دلالة علىٰ خلو الجمال الطبيعي، وهذا ما نبَّه إليه الكاتب حين قال:" لقد أصبحت الحياة الحديثة خالية من الجمال.. لقد ابتعدنا كثيرا جدا عن فطرة الطبيعة الخلابة وجمالها السخي"[٢]، وقال: "لا بد أن نخجل من أنفسنا إذا لم نكن نشعر بالجمال الكامن فيها"[٣]، وحرص الكاتب علىٰ جمال الطبيعة كان الدافع وراء كتابة رواية" فساد الأمكنة"، فالجمال يهذب النفس ويدفعها للتقدم والرقي.

❁ **تأويل إعلامي**

ربما يرجع تفسير شعور (السيد) باليأس والإحباط إلىٰ غياب الشفافية والصدق في الإعلام، فدور الإعلام عرض كل الموضوعات التي تخص المجتمع بكل حيادية وتغطيتها من جميع الزوايا، وربما تعرض الكاتب لذلك بوصفه رجل إعلام، واستطاع أن يقوم بدوره تجاه مجتمعه في أعماله الفنية، وفي الرواية ما يفيد بأن هناك تعتيما علىٰ بعض الأخبار، فقد قال:" إن بعض الأبراج السكنية طلبت إذاعة مباريات الكلام في ملاهي المناقشات في الإذاعة العامة، ولم يتم إذاعتها فهي أفكار فردية؛ ولذلك لايصح إذاعتها، حيث لا يجب أن يذاع علىٰ المواطنين إلا ما نضج واكتمل.. من الأفكار النهائية فقط..[٤]، وترك الكاتب فراغات ليخمن المتلقي ما تركه.

---

(١) انظر السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٨١.

(٢) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٦٢.

(٣) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٦٥.

(٤) السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، ص ٦١ ـ ٦٢.

فرواية" السيد في حقل السبانخ تحمل إسقاطا علىٰ الواقع المعاش في المجتمعات الراقية في ظل التقدم التكنولوجي، وعلىٰ الرغم من أن الرواية كتبت من حوالي أربعين عاما، إلا أنها تصور الواقع.

هذه هي أهم الأفكار والخواطر التي بدت لي من خلال قراءة الرواية أكثر من مرة، وهناك العديد من التأويلات يمكن إيجادها بعد إمعان النظر في الرواية، كما أن هذه التفسيرات قائمة علىٰ تصور فلسفي يحتمل صدقها وعدم صدقها مما يهيئ الطريق لتفسير جديد، وعدد غير محدود من التفسيرات تختلف من عصر لعصر، ومن قارئ لقارئ.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ـ صلىٰ الله عليه وسلم ــ أعذب الناس لسانا وأكرمهم أخلاقا، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين . أما بعد ،،

فقد انتهيت بفضل الله تعالىٰ وتوفيقه من إعداد هذه الدراسة، والتي موضوعها العجائبية في رواية "السيد من حقل السبانخ" للكاتب صبري موسىٰ دراسة تحليلية تأويلية، وقد أسفرت هذه الدراسة عن كثير من النتائج أهمها:

ـ إن الأدب العجائبي نوع من الأدب التفاعلي، فالمبدع يحتاج أن يعبر عما بداخله، فيبثه في ثنايا فنه، مما يسبب حيرة القارئ، وهذا بدوره يفتح مجالا لتأويل النص، فيحاول القارئ تفسير ما أبهمه الكاتب، وبذلك يكون الكاتب قد أعطىٰ للقارئ فرصة المشاركة في إبداعه.

ـ إن هذا النوع من الأدب ظهر جليا في الرواية العربية، فالرواية العجائبية المستشرفة للمستقبل لها مقاييس نقدية تخالف ما تـمَّ الاصطلاح عليه من مقاييس الرواية الواقعية المباشرة، دعا إليها الخيال المتدفق الذي ولدته عجائبية الأحداث من بدايتها حتىٰ نهايتها.

ـ إن رواية السيد من حقل السبانخ جسدت العجائبي بدءا من الغلاف ومرورا بالأحداث حتىٰ النهاية، فهي رواية مفتوحة مليئة بالإيحاءات والرموز التي تحتاج إلىٰ توضيح وذلك من خلال القراءة المتأنية، فكل قراءة تضيف لسابقتها دلالات أخرىٰ وتأويلات متعددة.

ـ نجحت الرواية في جعل هذه الأحداث العجائبية ممكنة من خلال هدم الواقع وبناء عالم سحري آخر، وسَرْدها بلغة عجيبة ذات دلالات مكثفة،

وتخييل محلق غني بالصور والاستعارات، ومن خلال تقنيات وتيمات تعتمد علىٰ الخيال العلمي الذي كان له دوره في إثارة خيال المتلقي وإثراء فكره.

ـ اتسمت الشخصية العجائبية بالتحول، وغلب عليها الشعور بالاكتئاب والاغتراب النفسي.

ـــ استشرف الكاتب المستقبل من خلال إبداعه الفني، فقدم رؤية للمستقبل، وحلم بعالم مثالي يتحقق فيه العدل والمساواة لكل أفراده.

ـ صبري موسىٰ كاتب يتلاعب بالمكان والزمان ويدغمهما، وينوع في صيغه التعبيرية بين الحاضر والماضي والمستقبل؛ ليخلق عالما خياليا يبهر ويدهش، يمزج فيه بين الفكر والفلسفة والأدب.

– يحمد للكاتب توجيه رسائل هادفة في ثنايا إبداعه العجائبي المستشرف للمستقبل المثير للدهشة والاستغراب، فقد استطاع أن يمرر مخاوفه من مشاكل وظواهر خطيرة من الممكن حدوثها في المستقبل: كالتفريط في الدين، والقيم والأخلاق، وتفشي الفقر وانتشار الجهل، وسيطرة التكنولوجيا علىٰ الإنسان، وعمليات الاستنساخ، وغيرها، وهذا يدل علىٰ حرصه علىٰ حال المجتمع، والاهتمام بقضاياه.

وبعد،

فهذا الجهد، ومن الله التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم جل من أنزله

ثانيا : الكتب المطبوعة

أ ــ المصادر

١.السيد من حقل السبانخ رواية عن المستقبل، تأليف: صبري موسىٰ، طبع/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٧م

٢.مدخل إلىٰ الأدب العجائبي، تأليف: تزفتان تودوروف، ترجمة الصديق بو علام،تقديم: محمد برادة، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٣م، طبع: دار الكلام الرباط.

ب ــ المراجع

١.أدب الخيال العلمي، تأليف: جان غايتنيو (أستاذ الأدب الانجليزي في جامعة باريس، ترجمة المهندس: ميشل خوري، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٠م، طبع: دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق.

٢.أشكال المكان والزمان في الرواية، تأليف: ميخائيل باختين، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠م.

٣.بنيات العجائبي في الرواية العربية، تأليف: شعيب حليفي، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

٤.التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، تأليف: عادل العناز، طبع: دار الثقافة، حكومة الشارقة ٢٠١٩م

٥.خطاب الحكاية (بحث في المنهج) تأليف: جيرار جينيت، ترجمة / محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلّىٰ، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

٦.شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف: شعيب حليفي، ط١ ١٤٣٠ه ـ ٢٠٠٩م، طبع: الدار العربية للعلوم ناشرون.

٧.العجائبي في رواية الغيث لمحمد ساري، للباحثة حكيمة بوقرومة، مجلة دراسات، كلية الآداب واللغات، جامعة طاهري محمد بشار،الجزائر، ٢٠٢٠م.
٨.العنوان في الرواية العربية دراسة، تأليف: عبد المالك اشهبون، طبع: محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع٢٠١١م.
٩.فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، تأليف: هانس غيورغ غادامير، ترجمة: محمد شوقي الزين، طبع: الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧ه.
١٠.فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمنيوطيقاـ نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، تأليف: د/ عادل مصطفىٰ، طبع رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٧م .
١١.قراءة في رواية السيد من حقل السبانخ أو يوتوبيا عصر العلم، تأليف: حسين محمد عيد، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
١٢.لسان العرب، تأليف الإمام العلامة: جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم بن منظور الإفريقي المصري المتوفىٰ ٧١١ه، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبع دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
١٣.معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢م، طبع: دار النهار، بيروت ـ لبنان.
١٤.مشكلة الإبداع الروائي عند جيل الستينيات والسبعينيات، تأليف: صبري موسىٰ ومؤلفون آخرون، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

١٥.النهايات السردية في روايات غسان كنفاني، تأليف دكتور: أحمد بن سعيد العدوانين أستاذ مساعد ـ كلية اللغة العربية- جامعة أم القرىٰ، مجلة أم القرىٰ، العدد السابع عشر رجب ١٤٣٧ه ـ مايو ٢٠١٦م.

ب ــ المقالات

١.أدب التوقعات، تأليف: محمد طيفوري من الرباط، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، نشر بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢٠م.

٢.أنس الوجود تواصل قصة حبها لصبري موسىٰ، بقلم أيمن الحكيم، ١٣/ ٦/ ٢٠٢٠م، موقع الهيئة الوطنية للإعلام.

٣.شلايرماخر: الهرمينوطيقا العامة السمات والشروط، تأليف: أيوب كوش، نوفمبر ٢٠١٥م.

٤.صبري موسىٰ الزاهد لا تمدحه المدينة، جريدة المصري اليوم، بقلم/ أحمد الفخراني١٣/ ١١ ٢٠١٣م.

٥.قراءة في غلاف الرواية، بقلم: جان محمد بلوافي، نشر بتاريخ ١ مايو٢٠٠٩م، موقع ديوان العرب.

٦.قرأت لك صبري موسىٰ السيد من حقل السبانخ رحلة باذخة من الإبداع، بقلم بلال رمضان، مجلة اليوم السابع، ٧ أبريل ٢٠١٨م.

٧. معلومات لا تعرفها عن الكاتب الكبير صبري موسىٰ، جريدة الوفد، رئيس التحرير: سامي صبري، بقلم: إيمان محمد، نشر عام ٢٠١٨م.

٨.النص المفتوح: مفهومه ومرجعياته، تأليف: د/ رباب هاشم حسين، موقع متخصص بالثقافة والفلسفة والأدب، ١١ يونيو ٢٠٢٠.